داعية وليس نبياً

قراءة لمذهب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التكفير مع نقد تفصيلي

المؤلف

حسن بن فرحان المالكي

يقع الكتاب في ٧٩ صفحه تم التحميل عبر

www.al-maliky.com

داعية وليس نبياً

قراءة لمذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التكفير مع نقد تفصيلي لكتابه كشف الشبهات

حسن بن فرحان المالكي

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله داعية وإصلاحي[1] وليس نبياً.

لا خلاف في هذا من الناحية النظرية ولا خلاف في هذا – عند المنصفين– من حيث التطبيق أيضاً إنما الخلاف مع فئتين من الناس:

١– مع من يكفره أو يفسقه أو يشكك في أهدافه.

٢– ومع من ينزله منزلة الأنبياء المعصومين.

فقولنا: (داعية) رد على من يكفره أو يفسقه، وقولنا: (ليس نبياً) رد على من يغلو فيه.

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله له فضل علينا جميعاً، بل على كثير من المسلمين في العالم، لكن لا يجوز أبداً أن نقلده فيما أخطأ فيه؛ شأنه شأن غيره من البشر؛ من علماء ودعاة وطلبة علم، فإذا كنا نقبل تخطئة أبي حنيفة و الشافعي وأمثالهم[2] ؛ فكيف لا نقبل تخطئة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟! مع أنه أقل من هؤلاء علماً بإجماع المنصفين من أهل العلم.

ومحمد بن عبد الوهاب رحمه الله كسائر العظماء، الناس فيه بين قالٍ وغالٍ، ونحن نحاول أن نعرف ما له من حق وأثر؛ فنعترف به، ونرجو له عليه الأجر العظيم، ونعرف ما له من أخطاء؛ فنستغفر له، مع بيان هذه الأخطاء للناس؛ حتى لا يتأثروا بها؛ سواء كانت في الإيمانيات (العقائد) أو الأحكام.

وقديما قيل (زلة العالِم زلة عالَم)، فلهذا يجب على أهل العلم؛ أن يبينوا أخطاء العظماء؛ مع الاعتراف بفضلهم؛ فيدفعون الناس للتوسط في هذه الأمور بلا إفراط ولا تفريط.

وكتاب التوحيد أو كتاب كشف الشبهات أو غيرهما من كتب الشيخ ورسائله، إنما ألفها بشر يخطئ ويصيب، ولم يؤلفها مَلَك ولا رسول، فلذلك من الطبيعي جداً أن يخطئ، ولا مانع شرعاً ولا عقلاً من وقوع الأخطاء من الشيخ، سواءً كانت كبيرة أو صغيرة، كثيرة أو قليلة؛ فقهية أو عقدية (إيمانية).

فإذا جوزنا هذه المقدمة البسيطة، سهل الحوار والنقاش، أما إن لم نجوز هذه المقدمة؛ فهذا من الغلو الذي لا يرتضيه الشيخ نفسه، ولا المخلصون من أهل العلم، بل لعل جُل دعوة الشيخ ترتكز على نقض (الغلو في الصالحين)[3]، وعلى هذا فعدم الإقرار بالمقدمة السابقة يعد انتكاسة (سلفية) خطيرة، تذهب بجهود الشيخ أدراج الرياح، بين محبيه وأتباعه قبل خصومه وأعدائه، ثم ليس من العدل ولا من الإنصاف أن

[1] هذه النسخة الأخيرة من العمل شبه المكتمل وهي التالية للمنشورة في الإنترنت وهي الثالثة في الإخراج إذا عددنا النسخة الأولى المسروقة محذوفة المقدمة منها.

[2] بل نرى بعض المتعصبين للشيخ يقبل بكل سهولة تخطئة كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي ذر وأمثالهم ولا يقبل تخطئة الشيخ، وهذا من الغلو في الصالحين الذي ننكره بحق، وإن وجدنا في هذا الإنكار الأذى من هؤلاء.

[3] وكان الشيخ يرى أن تقليد العلماء وإنكار تخطئتهم من باب اتخاذهم أرباباً من دون الله (الدرر السنية ٢/٩).

ننكر غلو الأحناف في أبي حنيفة وننكر غلو الظاهرية في ابن حزم فضلاً عن غلو الصوفية في النبي صلى الله عليه وآله وغلو الشيعة في الإمام علي......بينما نحن نغلو في الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٤]، لأننا إن فعلنا هذا ساهمنا في المزيد من ضعف مصداقيتنا العامة، ومصداقيتنا في ذم (الغلو في الصالحين) بشكل خاص.

لن أطيل هذه المقدمة وأختصر هنا قائلاً : نعم كان لي قراءة نقدية لكشف الشبهات، وقراءة نقدية أخرى لخمس مجلدات من الدرر السنية تخص العقائد[٥]، وقد استخرجت ما في كتاب كشف الشبهات، من محاسن ونبهت على ما فيهما من ملحوظات حسب اجتهادي، ثم جمعت الملحوظات على كشف الشبهات في مسودة، وأعطيتها ثلاثة من الأخوة للاستشارة وإبداء الرأي، فقام أحدهم ونشرها ربما بحسن نية[٦]؛ وقد عاتبته على هذا عتاباً شديداً وأنكر أن يكون نشرها مع أن الاتهام بقي موجهاً إليه، وقد افترقنا بعد هذه المعاتبة، ولعله –إن صح أنه ناشرها- أراد أن يضرني، ونسي وهو (مدرس عقيدة) أن النفع والضر بيد الله (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله)، ورب ضارة نافعة، فلعل نشر المسودة هو ما شجعني لنشر العمل كاملاً نشراً عاماً لأشارك بنصيحة هادئة علمية، بعد أن كنت أنوي تقديمه لبعض من يعز عليّ من أسرة الشيخ من باب النصيحة.

وبما أن النسخة عبارة عن (مسودة) لا تعبر عن وجهة نظري، لعدم تضمنها مقدمة عن الشيخ ورأيي فيه جملة؛ فأنني رأيت الآن أن من المناسب نشر النسخة الصحيحة (المبيضة) التي تعبر عن وجهة نظري متكاملة وعنوانها (قراءة في كشف الشبهات) ضمن هذا العمل لتكون الفصل الأول من هذا الكتاب، وليس (نقض كشف الشبهات)! كما أنها لم تطبع أيضاً كما ظن بعضهم.

وستكون القراءة النقدية لكشف الشبهات تحت هذا العنوان الأخير (داعية وليس نبياً)، وعلى هذا سيتضمن الكتاب خمسة فصول:

الأول : قراءة في كشف الشبهات.

---

[٤] من دلائل هذا الغلو عند البعض منا يتعجب ممن يرد خطأ وقع فيه الشيخ ويكتفي بقوله (فلان تهجم على الشيخ في كذا وكذا ....) ويعتبر التخطئة طعناً وبدعة قبل أن يناقش الأدلة وكأن الشيخ رحمه الله معصوم! وهذا الإنكار لا ينبغي خاصة ممن يؤيد الشيخ بقوة في إنكاره الغلو في الصالحين وتسميته ذلك شركاً أكبر! فرحم الله الشيخ، لقد أساء إليه بعض أتباعه كما أساء إلى عيسى وموسى وعلي وأحمد بن حنبل ...بعض أتباعهم، ونسأل الله أن يعيننا على بيان الاعتدال دون تفريط في حق الشيخ ولا غلو فيه، ولا أظن المعتدلين إلا مؤيدين فعلنا هذا لكن يبقى أن بعضهم يحاول التدخل في النيات والحكم عليها ولولا هذه المحاولة منهم في معرفة النيات لكان عملنا هذا محل رضى الأغلبية على الأقل.

[٥] قلت هنا: (العقائد) حسب التسمية السائدة، مع أن الأفضل استخدام لفظ (الإيمان) أو (الإيمانيات)، وغالباً ما أحاول الجمع بينهما إن أردت ليفهم الجميع المراد، وإذا استخدمت (العقائد) وحدها فغالباً أريد بها المعنى اللغوي لا الشرعي.

[٦] وربما تمت سرقتها من الحاسب، خصوصاً وأنه لم يكن عندي برنامج حماية ضد (سراق الانترنت= الهكرز) و لم أتخذ هذا البرنامج إلا بعد هذه السرقة، و لم أكن أنوي نشر هذا وإنما كنت أنوي إعطاءها بعض أسرة الشيخ رحمه الله، من باب النصيحة.

الثاني : الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتبه ورسائله الأخرى (وهي عبارة عن نماذج من أقواله وآرائه في التكفير[٧] تستدعي المراجعة من طلبة العلم ولا يضير الشيخ إن أخطأ فكل بني آدم خطاء).

الثالث: هل تناقض الشيخ؟

الرابع: المسيرة بعد الشيخ.

الخامس: مع خصوم الشيخ ومعارضيه والمختلفين معه.

تنبيهان:

التنبيه الأول:

سأحاول أن أترك القراءة النقدية لكشف الشبهات (المبيضة) كما هي دون إضافات أو تعديلات إلا النادر.

التنبيه الثاني:

سيجد القارئ أثناء هذا البحث أنني قد استخدم لفظة (الوهابية)، ليس من باب الذم الذي يفعله خصومها أو أنها مذهب جديد؛ وإنما من باب كونها تياراً فكرياً له تاريخه وخصائصه ومصنفاته وشيوخه.. مع أن كلمة (الوهابية) ليست صفة ذم حتى لو كانت مذهباً فالمذهب الذي يعتمد على أدلة صحيحة لن يضره الاسم الجديد ولا تسمية الناس له، كما أن التيار أو المذهب الذي يبني فكره وعمله على أدلة ضعيفة؛ لن ينفعه التسمي بأحسن الأسماء فالعبرة بالإيمان وصحة العلم والعمل وليس بالتسمي ولا بالتمني.

وقد كان علماء الدعوة يجيزون استخدام (الوهابية) ويرددونها في كتبهم دون خوف من اتهام بمذهب، بل ربما ألفوا الكتب والرسائل في عقائد الوهابية ودعوتهم ولا ضير في ذلك[٨].

---

[٧] أخذت تلك الأقوال من كتاب (الدرر السنية) الذي جمعه عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله.

[٨] ومن علماء الدعوة الذين استخدموا مصطلح (الوهابية) سليمان بن سحمان، وقبله محمد بن عبد اللطيف (الدرر السنية ٤٣٣/٨) وغيرهما، وكذا المدافعون عنها كالشيخ حامد الفقي ومحمد رشيد رضا وعبد الله القصيمي وسليمان الدخيل وأحمد بن حجر أبو طامي ومسعود الندوي وإبراهيم بن عبيد صاحب التذكرة وغيرهم، مع أن الشيخ حامد الفقي رحمه الله قد حاول أن يشكك في نيات كل من استخدم هذا المصطلح واقترح أن يطلق عليها (الدعوة المحمدية) لأنها تنسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب! وليس إلى والده (عبد الوهاب) وقد قلده من المتأخرين الشيخ صالح الفوزان، وقولهما هذا عجيب، فأغلب المذاهب تسمى بأسماء آباء أو أجداد أصحاب المذاهب، فالمذهب الحنبلي نسبة لحنبل جد أحمد بن محمد بن حنبل وهم لا يعترضون على هذه التسمية ولا يقولون بها، وكذلك المذهب الشافعي نسبة لشافع (جد الشافعي واسمه: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع) والحنفية نسبة لأبي حنيفة واسمه النعمان، والأشاعرة نسبة نبة لأبي الحسن الأشعري: مع أن الأشعر جد جاهلي قديم فهو : الأشعر بن أدد بن زيد جد قبيلة الأشاعرة، الذي بينه وبين أبي الحسن الأشعري عشرات الآباء.. وهكذا و لم يسم من المذاهب بأسماء مؤسسها إلا القلة كالمالكي (مالك بن أنس) والزيدية (زيد بن علي) والجعفرية (جعفر الصادق).

ثم الشيخ صالح الفوزان يطلق على أتباع محمد بن سرور بن نايف زين العابدين كلمة (السرورية) فلماذا لا يسميها (المحمدية) أيضاً!!

وختاماً:

آمل من الأخوة المهتمين بهذه القضايا أن يقرأوا هذا العمل بأنصاف وطلب للحق (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)، فالحق أحق أن يتبع وكل يؤخذ من قوله ويرد كما آمل أن ما نشر في بعض وسائل الإعلام عن (المسودة) يكون مشجعاً لقراءة (المبيضة) ولا أمانع مــن إبــداء الملحوظات، بل إنني أطلبها من أهلها، وأشكر من أسدى إلي ملحوظة؛ لكنني أشترط في قبولها أن تكون صحيحة، أما ما يفعله البعض من محاولة المغالطة والتهويل وبتر النصوص ونحوه؛ فهذا الأسلوب أظن أنه أصبح ممقوتاً مهجوراً عند المنصفين من طلبة العلم، فلذلك لن أشغل نفسي بتتبع هذا الصنف من الناس[٩]، فلو فعلنا ذلك لما عملنا شيئاً، ورحم الله المتنبي[١٠].

أسأل الله عز وجل أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا الاعتراف به ثم أتباعه، ويرينا الباطــل بــاطلاً ويرزقنــا الاعتراف به ثم اجتنابه، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآل محمد.

حسن بن فرحان المالكي

الجمعة ١٣/٥ / ١٤٢٢ هـــ .

[٩] وقد ثار بعضهم واستعجل في الرد بتشنج على المسودة مع كل التهويل والبتر مع محاولة تكفير أوتبديع صاحب هذا التشنج كعادة غلاتنا عندما يختلفــون مع أحد! ومن هؤلاء الذين تناولوا المسودة بالنقد أو حفزتهم على الرد، الشيخ الفاضل حمود العقلاء والدكتور علي الخضير والشيخ عبد الله الســعد والأخ عبد الكريم الحميد وغيرهم وقد اكتفيت بالرد على الثلاثة الأولين في بيانات منشورة لثقتي في عقولهم، ولم أر في البقية عاقلاً يستحق الرد، خصوصــاً وأن بعضهم يرغب في العودة لهذا العالَم ممتطياً موجة الدفاع عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب!.

[١٠] هو القائل: لو كل كلب عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخر مثقالاً بدينار!

الفصل الأول:

قراءة

في

كشف الشبهات

للشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)

المقدمة *

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد..

فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان له دور إصلاحي ودعوي؛ امتد أثره إلى كثير من المسلمين في العالم؛ فضلاً عن المسلمين داخل الجزيرة العربية.

ولا ريب أن المسلم ليفرح عندما يهيئ الله دعاة ومصلحين، فالله يبعث في كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها -كما جاء في الأثر على ضعف في إسناده- ولا أستبعد أن يكون الشيخ واحداً من هؤلاء، في جانب من الجوانب، خاصة إذا علمنا أن لفظة (من) الواردة في الأثر قد تطلق على المجموع وليس على فرد، فيصبح الشيخ مجدداً في جانب من الجوانب مع آخرين في جوانب أخرى في تلك الفترة.

وقد كان مع الشيخ في القرون الثلاثة الأخيرة دعاة ومصلحون وعلماء نفع الله بهم، كالشيخ الشاه ولي الله الدهلوي والشيخ محمد حياة السندي والشيخ التهانوي الهندي، ومعاصره العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، وهو أعلم من الشيخ وأكثر اعتدالاً وأعمق أثراً وأقبل عند سائر المسلمين، وإن كان الشيخ أوسع أثراً وأنشط في الدعوة[11]، وعبد الوهاب بن فيروز الأحسائي كبير الحنابلة في الأحساء، وآل

---

* تنبيه: هذا الكتاب تلافيت فيه بعض الأخطاء الطباعية وهي الأكثر، والعلمية وهي الأقل، التي كانت في المبيضة، وأضفت إليه بعض الأبحاث المهمة وخاصة المقدمة، التي لم تكن في المبيضة، ومع هذا فمن كانت عنده المبيضة فلن يجد جديداً ذا بال في هذه الكتاب، أما من وصلته المسودة فلابد أن يتخلى عنها ويعرف رأيي في الموضوع من هذه الكتاب أو من المبيضة، ولا أحل لأحد أن ينسب إلي بعض الآراء في المسودة المنشورة بلا أذن مني ولا إقرار لكل ما فيها، خصوصاً وأن فيها أخطاء حاسوبية جعلت بعض الإجابات عند غير الأسئلة والاستشكالات الخاصة بها فبدا بعض الكلام فيها غريباً.

[11] ومن أشهر معاصريه من العلماء والمصلحين، الحسين بن محمد المغربي الصنعاني (١١١٩هـ)، صاحب (بدر التمام) وعليه اعتمد ابن الأمير في كتابه المشهور سبل السلام، والحسيني الدمشقي(١١٢٠هـ) صاحب كتاب أسباب ورود الحديث، وأبو المواهب الدمشقي مفتي الحنابلة (١١٢٦هـ)، والشيخ تقي الدين الحصني الدمشقي الشافعي (١١٢٨هـ)، والشيخ عبد الله بن سالم البصري ثم المكي (١١٣٤هـ)، وشيخ الجامع الأزهر إبراهيم الفيومي (١١٣٧هـ)، والمحدث أحمد بن القاسم البوني التميمي (١١٣٩هـ)، وعلي بن مراد العمري مفتي الموصل (١١٤٧هـ)، ويحي بن عمر الأهدل الزبيدي (١١٤٧هـ)، والعجلوني الكبير من فقهاء المحدثين بدمشق (١١٤٨هـ)، والشيخ عبد الغني البرهاني السوداني شارح البيقونية (١١٥١هـ)، والشيخ أحمد السملالي المغربي (١١٥٢هـ)، ويوسف الحسيني مفتي الحنفية بحلب (١١٥٣هـ)، والشيخ عبد المعطي الخليلي مفتي الشافعية بالقدس (١١٥٤هـ)، والشيخ المجتهد أحمد اللمطي (١١٥٧هـ)، والتهانوي الهندي صاحب اصطلاحات الفنون (١١٥٨هـ)، والمنصور الحسين بن القاسم اليماني (١١٦١هـ)، والعجلوني الصغير من أهل الحديث، صاحب كشف الغطا (١١٦٢هـ)، والشيخ محمد حياة السندي من علماء المدينة (١١٦٣هـ)، ومحمد بن عبد الرحمن الغزي مفتي الشافعية بدمشق (١١٦٧هـ)، وسالم النفراوي (١١٦٨هـ)، وإبراهيم الويداني مفتي النوازل (١١٦٨هـ)، وسليمان المنصوري الحنفي (١١٦٩هـ)، وحامد العمادي مفتي دمشق وابن مفتيها (١١٧١هـ)، وعبد الله الشبراوي شيخ الأزهر (١١٧١هـ)، وإسحاق المتوكل اليماني (١١٧٣هـ)، وعبد المنعم القلعي مفتي مكة (١١٧٤هـ)، ومحمد سعيد سنبل الشافعي المكي (١١٧٥هـ)، وأحمد بن عبد العزيز الهلالي (١١٧٥هـ)، وشاه ولي الله الدهلوي من أكبر المجددين في القارة الهندية (١١٧٦هـ)، والبرزنجي مفتي الشافعية بالمدينة (١١٧٧هـ)، وعبد الكريم الشراباتي محدث حلب

عيسى في نجد، ثم جاء الإمام الشوكاني اليماني بعد الشيخ بقليل، ثم في القرن الأخير كان في هناك علماء ودعاة لهم أثرهم الدعوي الكبير كما نرى في دعوة الشيخ حسن البنا في مصر والعلامــة المــودودي في باكستان وشبه القارة الهندية، والشيخ جمال الدين القاسمي في الشام والمهدي الســوداني في الســودان وغيرهم كثير.

فكان لهؤلاء وغيرهم وخاصة المتبوعين – مع ما صاحب هذه الدعوات من أخطاء في العلم أو الممارسة- الدور الكبير في تجديد الإسلام ورفع معنوية المسلمين وتصحيح الأخطاء سواءً في الإيمانيات أو الأعمال.

وكانت دعوات هؤلاء المصلحين دعوات إسلامية في الجملة، وكونها إسلامية لا يعني أنها خاليــة مــن الأخطاء؛ وهذه المسألة لم يدركها كثير من أتباعهم؛ الذين بهرهم شعاع هذه الدعوات الإصلاحية عــن إدراك بعض الأخطاء؛ التي صاحبت دعواتهم ثم كان لهذه الأخطاء أثر سلبي على بعض طلبة العلم؛ الذين غلو فيهم ومنعوا من نقد أخطائهم، وكادوا أن يجعلوهم في مرتبة الأنبياء المعصومين وهنا يأتي الواجــب على طلبة العلم المعتدلين من أتباعهم، في توضيح المسألة ونقد هذا الخلل.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ليس بدعاً من هؤلاء، فمثلما غلا أتباع حسن البنا فيه، وغــلا أتباع المهدي في المهدي، وكذا فعل مقلدو الشوكاني والمودودي وغيرهم؛ فقد ظهر في زمن الشيخ محمد وبعده من أتباعه من يغالي في الشيخ غلواً كبيراً، ويتعصب لكل ما كتبه في رسائله وفتاواه؛ بل وحكمه على الأحاديث، وآرائه في الأمم والدول والأفراد وغير ذلك[١٢].

(١١٧٨هـــ)، وأحمد بن محمد الورزازي حبر تطوان (١١٧٩هـــ)، وعبد الرحمن بن إدريس الحسني شيخ المغرب (١١٧٩هـــ)، وعبد المحسن بـــن أســـعد الأسعد مفتي المدينة (١١٨٣هـــ) وعلي بن محمد المرادي أحد علماء عصره بدمشق (١١٨٣هـــ)، وعبد المحسن بن علي الأشيقري تولى الإفتـــاء في الـــزبير (١١٨٧هـــ)، وحمد بن احمد السفاريني له منظومة مشهورة في عقيدة السلف (١١٨٨هـــ)، وأحمد بن يوسف الحديث اليمـــاني (١١٩١هـــــ)، ومحمـــد التافلاتي مفتي الحنفية بالقدس (١١٩١هـــ)، ومحمد بن سليمان الكردي مفتي الشافعية بالحجاز (١١٩٤هـــ)، وسليمان الأهدل محدث اليمن (١١٩٧هـــ)، وعلي بن محمد الشرواني رئيس علماء الحنفية بالمدينة (١٢٠٠هـــ)، وعبد السلام الداغستاني (١٢٠١هـــ)، وعبد الوهاب الأحسائي الحنبلي (١٢٠٥هـــ)، والزبيدي صاحب تاج العروس (١٢٠٥هـــ)، والمرادي مفتي الشام صاحب سلك الدرر (١٢٠٦هـــ)، وعبد القادر الكوكباني الزيـــدي المحـــدث شـــيخ الشوكاني (١٢٠٧هـــ)، وسليمان بن عبد الوهاب أخو الشيخ محمد في حريملاء، وآل سحيم في الرياض وغيرهم ، وقد تركنا العشـــرات مـــن العلمـــاء المعاصرين للشيخ بل هناك كتب مؤلفة في تراجم علماء القرن الثاني عشر أشهرها (سلك الدرر)، وهذا دليل على أن الوضع في العالم الإسلامي ليس ممعناً في الجهل فضلاً عن الشرك الأكبر! كما يتصوره البعض بناء على ما كتبه بعض علماء الدعوة ومؤرخيها، كما أنه ليس من العدل أن نهمل كل جهود هؤلاء أو نزدريهم، وللأسف أن هؤلاء على مقتضى كلام غلاة الوهابية مشركون شركاً أكبر! وكأن الإسلام كان قد انطفأ حتى بعثه الشيخ مجدداً وهـــذا خـــلاف الواقع، لكنه ظن كثير من أتباع الشيخ للأسف.

[١٢] ومن نماذج الغلو في الشيخ قول بعضهم فيه (العالم الرباني والصديق الثاني مجدد الدعوة الإسلامية .. أوحد العلماء) = الدرر السنية (٢٩/١)، وقال ابن عبيد في تذكرة أولي النهى والعرفان (١٧٣/١) : (الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي افتخرت به أمة محمد على سائر الأمم!) اهـــ وأطلق عليه المؤلف لقب (شيخ الوجود) !! في شعر له في التذكرة (٣٣/١) وهي كلمة عظيمة لو أطلقها أحد في النبي صلى الله عليه وآله لأنكرنا عليه وربما كفرناه.

ثم غلا هؤلاء حتى تركوا جزءاً كبيراً من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي كانت في ذم (الغلو في الصالحين)، فالغلو في الصالحين من المحاور الرئيسة التي كان الشيخ رحمه الله ينقدها، فأصبحت هذه المسألة المحورية من أساسيات العقيدة عند الغلاة من أتباع الشيخ محمد رحمه الله[١٣].

---

[١٣] بل معظم (المسائل الجاهلية) التي كتب فيها الشيخ كتاباً يجب أن يراجع الغلاة من أتباعه أنفسهم فيها وسيجدون أن معظمها متحققة فيهم للأسف، ومن أبرز تلك المسائل الجاهلية التي نراها اليوم في الغلاة من أتباع الشيخ هي – مع اختصار وتصرف-:

١ -قول الشيخ: إن دينهم – يعني أهل الجاهلية- مبني على أصول أعظمها التقليد!! فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم...

قلت: والتقليد في غلاتنا أظهر من أن نمثل له وخاصة في العقائد، فهم ينزلون أقوال العلماء في العقائد منزلة النصوص الشرعية تماماً إن لم يكن أعظم، ويكفي أحدهم في الاستدلال أن يقول: قال الإمام أحمد ...أو قال شيخ الإسلام ابن تيمية... أو قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب... وكأنه يستدل بنص شرعي قطعي الدلالة والثبوت! وهذا خلل كبير جداً أرى من يهتم به إلا القليل جداً من العلماء قديماً وحديثاً فضلاً عن غيرهم، بل حتى المنكرين على أهل التقليد إنما ينكرون عليهم التقليد الفقهي ويتجنبون إنكار التقليد العقدي وهو أكثر فتكاً في الأمة من التقليد الفقهي، لأن المتفقهون يقبلون التعايش مع بعضهم أما المقلدون في العقائد فهم يرثون أقوالاً في تكفير من لم ير هذا الرأي أو رأى ذاك، ولعل ابن حزم والمقبلي من القلائل الذين أنكروا التقليد العقدي والمقبلي أقوى الرجلين في هذا الجانب وأكثر اعتدالاً وأقل تناقضاً وأدق في معرفة عقائد المذاهب الإسلامية.

٢ -قول الشيخ: ومن أكبر قواعدهم -يعني أهل الجاهلية- الاغترار بالأكثر!! ويحتجون به على صحة الشيء ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله!!!

قلت: وهذا ظاهر في كثير من غلاتنا عند قوتهم وكثرتهم، وإن شعروا بالضعف والقلة جأروا (طوبى للغرباء)!

٣ -وذكر منها الشيخ: الاحتجاج بالمتقدمين كقوله تعالى (فما بال القرون الأولى)؟!

قلت: وهذا في غلاتنا أيضاً مثل قول بعض غلاة السلفية (من سبقك إلى هذا؟!) بينما لا يسألون عن من سبقهم إلى أخطائهم ومنها أشياء كثيرة سردناها في كتاب العقائد.

٤ -وذكر منها الشيخ: الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال.

قلت: وكذا بعض مقلدي ابن تيمية مثلاً عندما يقولون : من أنت حتى تستدرك على ابن تيمية! وهو صاحب الذكاء والمنطق والفلسفة وكذا وكذا ..الخ.

٥ -وذكر منها الشيخ: الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء!

قلت: وهذا يفعله بعض المغالين اليوم عندما يقولون: ما بقي إلا فلان حتى يعلمنا ديننا!

٦ -وذكر منها الشيخ: الغلو في العلماء والصالحين.

قلت: وهذا أمثلته كثيرة (راجع ما كتبناه عن الغلو في كتاب العقائد).

٧ -وذكر منها الشيخ: اتباع الهوى والظن والإعراض عما أتاهم الله.

قلت: وهذا ما يفعله بعض غلاتنا اليوم عندما تأتيه بالدليل الشرعي فيجيبك بأن ابن تيمية أو ابن القيم يرى كذا وكذا..

٨ -وذكر منها الشيخ: اعتذارهم عن اتباع ما أتاهم الله بعدم الفهم (وقالوا قلوبنا غلف)؟

قلت: وهذا رأيته من بعضهم عندما تحاورنا فقال: اعتبرنا أغبياء لا نفهم!

٩ -وذكر منها الشيخ: نسبة باطلهم إلى الأنبياء.

قلت: وهذا مثل إمساكهم عن تصويب الإمام علي ونسبة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله! ونسبة فضل بني أمية إلى النبي ! بأنه قال فيهم كذا وكذا – مما لم يصح -واحتجاجهم بدليل عام ظني الدلالة (كأحاديث اعتزال الفتن) مع اعترافهم بتواتر حديث عمار الخاص الصريح الدلالة.. بل نجد بعضهم إن استدللت عليهم بهذا يقولون (لسنا مثل النبي حتى نحكم بين فلان وفلان)!

١٠ -وذكر منها الشيخ: تناقضهم في الانتساب فيدعون الانتساب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ويتركون اتباعه؟!

قلت: وهذا أيضاً في بعض غلاتنا عندما تقول له إن النبي صلى الله عليه وآله قال كذا فيتعذرون بأن بعض الفقهاء قال كذا وأنهم أكثر فهماً للحديث منا! بينما إن كان الموضوع في صالحهم تراهم يجأرون بقول مالك (كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر)!.

١١ -وذكر منها الشيخ: قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين.

قلت: وهذا في بعض غلاتنا من قدحهم في الإمام علي أو جعفر الصادق بفعل بعض الشيعة، حتى أن رجلاً من غلاتنا يزعم بأن علياً قاتل للرياسة لا للديانة! ويصرح آخر بأن جعفر الصادق ماسوني كذاب! ونحن هنا لا نبريء أحداً من خطأ، لا أبو بكر ولا علي ولا جعفر الصادق ولا الشافعي، فالجميع بشر لهم

أخطاؤهم مثلما لغيرهم لكن لا يجوز أن نتهم أهل البيت بالباطل ونترك الشيعة ليدافعوا عنهم! فالصادق مثلاً حاشا لله أن يكون ماسونياً أو كاذباً كما يزعم الجبهان، فالغريب في معتدلينا سكوتهم المطبق في الرد على هؤلاء، بينما نشاطهم وحماسهم لا يبارى في الرد على من خطّأ ابن تيمية أو البربهاري أو الشيخ محمد وهذا تناقض في المواقف ودليل على تأثرنا بردة الفعل أو خشيتنا من اتهام البشر وأمننا من اتهام رب البشر.

١٢ -وذكر منها الشيخ: أن الحياة الدنيا غرتهم فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه!! (نحن أكثر أموالاً أولاداً وما نحن بمسبوقين)؟!

قلت: وهذا أيضاً في بعض غلاتنا عندما يحتجون على من خالفهم بقولهم: ألا ترى أن الله أنعم علينا بالمال والمنصب و..الخ! وإذا أصاب غيرهم المنصب والمال قالوا (هذه الدنيا أعطاهم الله إياها لتكون عليهم حسرة يوم القيامة)! وهذا شائع في جميع الغلاة، فإذا أصابهم مكروه قالوا : هذا ابتلاء! (فالله إذا أحب قوماً ابتلاهم)! وإذا أصاب خصومهم مكروه، قالوا : (هذه عقوبة الله وما ينتظره أعظم)! وهذا كله من التألي على الله فلا أحد يعرف سر هذا المكروه أو هذه النعمة إلا هو، والواجب على المسلم إن أصابته سراء أو أصابت خصمه المسلم أن لا يجزم بشيء من هذا أو هذا وإنما يرجو لنفسه ويخشى عليها، وكذا يرجو للمسلمين ويخشى عليهم ولو كانوا من ألد خصومه.

١٣ -وذكر منها الشيخ: ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً وأنفه!

قلت: وهذا سبق التمثيل عليه.

١٤ -وذكر منها الشيخ: الاستدلال على بطلان الحق بسبق الضعفاء كحال المشركين الذين قالوا: (لو كان خيراً ما سبقونا إليه).

قلت: وقد سبق شيء من هذا.

١٥ -وذكر منها الشيخ : أنهم لا يعقلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم!

قلت: وهذا في بعض غلاتنا عندما تأتيهم بدليل فيقولون: هذا لم نسمع به من مشايخنا وليس موجوداً في مصادرنا، مع أن الحق لا يشترط أن يكون كله مذكوراً عندنا، وقديماً حارب الغلاة العلوم المفيدة من هذا الباب كفضل المنطق مثلاً وكونه مما يعين طالب العلم على الفهم.

١٦ -وذكر منها الشيخ: أنهم مع ذلك لا يعملون بما تقوله طائفتهم!

قلت: مثل بعض غلاتنا الذين لا يعرفون أن ابن تيمية لا يكفر الجهمية ولا الرافضة! ولا يجوَز أن يجزم الشخص بأن الطائفة الفلانية ناجية والطائفة الفلانية هالكة لأن هذا من التألي على الله، ولا يعرف بعضهم أن بعض متقدمي الحنابلة كانوا يكفرون أبا حنيفة! وأن أحمد بن حنبل كان يصحح حديث (علي قسيم النار).

١٧ -وذكر منها الشيخ: كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يهوونه!

قلت: وهذا ظاهر في بعض غلاتنا تجدهم يردون عليك الحق إذا قال به فلان، فإذا علموا أن فلاناً -ممن يحبونه- قد قال بهذا القول سهل عليهم الأمر وصوبوه وهدأت نفوسهم.

١٨ -وذكر منها الشيبخ: إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم.

قلت: وهذا كإنكار بعض غلاتنا أن من ديننا ذم الظلم والبغي وأنه لا حجة إلا في قول الله ورسوله، وأن منهج الجرح والتعديل يكشف أن في مصادرنا في العقيدة أحاديث موضوعة وهكذا...الخ..

١٩ -وذكر منها الشيخ: أن كل فرقة تدعي أنها الناجية فأكذبهم الله بقوله: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)؟.

قلت: وهذا واضح في جزم غلاتنا بأنهم هم الناجون فقط وغيرهم من الفرق الإسلامية ممن لا يتابعهم على ما يرون هالكون وفي النار! لكن البعض يستدرك بأن غيرهم من المسلمين (الهالكين عندهم) يمكن أن يخرجوا من النار بالشفاعة لكنه يبقى احتمالاً ضعيفاً!!.

٢٠ -وذكر منها الشيخ: التعبد بتحريم الحلال!

قلت: وهذا ظهر في بعض غلاتنا أيضاً من تحريم القهوة والساعة وتعليم المرأة.

٢١ -وذكر منها الشيخ: التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله!

قلت: هذا كلام الشيخ محمد كان يرد به على المقلدين الذين يردون الحق الذي جاء به الشيخ بذكر فقهاء آخرين قالوا بخلافه، ورغم أن عبارة الشيخ فيها قسوة لكن ألا ترون معي أن الحالة التي يشكو منها الشيخ محمد قد عادت عند بعض غلاتنا في التعصب لمن يثقون فيهم من العلماء، وليت الأمر يقف عند هذا لكن كأن التعصب لا يكفي حتى نطعن في علماء مسلمين آخرين!

٢٢ -وذكر منها الشيخ: معارضة شرع الله بقدره!

قلت: مثل معارضة بعض غلاتنا لحق علي بأن معاوية تمكن في الأخير واستولى! وأن الله لو كان لا يريد هذا لما قدّره! ونسوا أن بعض الأنبياء قد قتلهم قومهم ولا يعني هذا رضا الله بذلك أو تصويبه.

٢٣ -وذكر منها الشيخ: التعصب للمذهب.

قلت: الأمثلة واضحة.

٢٤ ـ وذكر منها الشيخ: تحريف الكلم عن مواضعه.

قلت: مثل تحريف بعض إلاهم لنقدنا لأخطاء ابن تيمية أو أخطاء الشيخ محمد بأن السبب أنهما كانا ضد الشرك! وأننا إنما نريد الانتصار للقبوريين والرافضة!

٢٥ ـ وذكر منها الشيخ: تلقيب المخالفين بألقاب باطلة.

قلت: وهذا أيضاً في بعض غلاتنا كوصفهم من أحب علياً أو نقد معاوية بالتشيع أو الرفض، ومن نفى التجسيم بالجهمية، ومن رد أخطاء الشيخ في التكفير بالقبورية.

٢٦ ـ وذكر منها الشيخ:التكذيب بالحق.

قلت: وهذا في غلاتنا من تكذيبهم كل حق يقوله مخالفيهم ومكابرتهم في عدم قبوله.

٢٧ ـ وذكر منها الشيخ: افتراء الكذب على الله.

قلت: مثل قول بعض غلاتنا في الماضي والحاضر بأن الله أثنى على كل من رأى النبي صلى الله عليه وآله وأن الله وعدهم كلهم بالجنة! مع أن فيهم من ارتد ونافق وأساء السيرة، وقد أثبتنا أن هذا القول قول على الله بغير علم واعتساف في تأويل الآيات الكريمة التي لم تنزل إلا في فضل المهاجرين والأنصار ومن في حكمهم ثم من أحسن العمل يدخل في التابعين بإحسان (يمكن مراجعة هذا بتوسع في كتاب الصحبة).

٢٨ ـ وذكر منها الشيخ: كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى للملوك كما قال (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض)؟!

قلت: وهذا في بعض غلاتنا فهم يستعينون بالسلطة عند ضعف الحجة لكبت خصومهم ومنعهم من النشر ومنع كتبهم من الدخول ومنعهم من السفر، وربما طالبوا بالتصفية الجسدية لبعض مخالفيهم لمنع الفساد في الأرض! وحماية الناشئة! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢٩ ـ وذكر منها الشيخ: رميهم الصالحين بانتقاص دين الملك..

قلت: كقول بعض غلاتنا بأن من خالف العقيدة السلفية فإن قلبه معقود على الخروج على ولي الأمر! وهذا ليس بلازم فقد خرج قوم من جميع الطوائف بما فيهم الحنابلة قديماً وحديثاً فالمسألة لا يجوز فيها المزايدة.

٣٠ ـ وذكر منها الشيخ: رميهم إياهم بتبديل الدين..

قلت: وهذا واضح في ردود بعض غلاتنا على خصومهم.

٣١ ـ وذكر منها الشيخ: تركهم الواجب ورعاً!

قلت: كترك بعض غلاتنا تصويب الإمام علي ورعاً! وتركهم ذم الظالمين ورعاً!

٣٢ ـ وذكر منها الشيخ: تعبدهم بترك الطيبات من الرزق.

قلت: هذا في بعض غلاتنا ممن يحرمون الكهرباء وركوب السيارة فضلاً عن غير هذا.

٣٣ ـ وذكر منها الشيخ: دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم.

قلت: هذا في بعض غلاتنا كدعوتهم للتكفير بغير علم.

٣٤ ـ وذكر منها الشيخ: دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه.

قلت: من شرع الله ألا تكفر مسلماً ولا تغتاب ولا تتكبر ولا تكذب على الناس ولا تستحل أعراض المسلمين ولا تفتخر بنسب أو بمنطقة ..وهذا للأسف في بعض غلاتنا.

٣٥ ـ وذكر منها الشيخ: المكر الكبار.

قلت: وهذا يفعله بعض غلاتنا في بعض الجامعات الإسلامية فيمكرون ببعض التلاميذ السذج ويطلبون منهم مذكراتهم ليستفيدوا مما فيها من معلومات! ثم يعطونها لثلاثة!

٣٦ ـ وذكر منها الشيخ: أن أئمتهم إما عالم فاجر أو عابد جاهل.

قلت: قول الشيخ محمد السابق فيه قصر حاد لا أرتضيه لكن أرى بعض غلاتنا يلجأون لبعض الشيوخ ممن لا يخشى الله في الآخرين أو ممن لا يفهم الموضوع مثار الاختلاف.

٣٧ ـ وذكر منها الشيخ: تمنيهم الأماني الكاذبة.

قلت: كتمنيهم بأنهم سيكونون في الفردوس وغيرهم في جهنم (تلك أمانيهم)! فلا يجوز التألي على الله فإن أبوا نقول لهم: (قل هاتوا برهانكم عن كنتم صادقين).

٣٨ ـ وذكر منها الشيخ: دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس.

وساعد في غلوهم غلو الطرف الآخر؛ من الصوفية والشيعة والمقلدة من أصحاب المذاهب الأربعة؛ الذين تحاملوا على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وزعموا أنه جاء بدين جديد، أو أنه نتيجة مؤامرة بريطانيـــة،

قلت: ومن زعم أنه الناجي وغيره الهالك فقد وافق هذا.

٣٩ ـ وذكر منها الشيخ: الفخر بالأحساب.

٤٠ ـ وذكر منها الشيخ: الطعن في الأنساب.

قلت: أمثلة هذه النقاط واضحة في بعض غلاتنا.

٤١ ـ وذكر منها الشيخ: أن الذي لا بد منه عندهم تعصب الإنسان لطائفته ونصر من هو منها ظالماً أو مظلوماً.

٤٢ ـ وذكر منها الشيخ: أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره.

٤٣ ـ وذكر منها الشيخ: تعيير الرجل بما في غيره.

٤٤ ـ وذكر منها الشيخ: عظمة الدنيا في قلوبهم.

٤٥ ـ وذكر منها الشيخ: رميهم أتباع الرسل بعدم الإخلاص وطلب الدنيا.

قلت: وهذه النقاط في بعض غلاتنا من أخذهم الرجل بجريرة غيره، والتعصب للطائفة أو القبيلة أو المنطقة ورميهم المؤمنين بحب الدنيا وهم من أحرص الناس على الدنيا ..الخ.

٤٦ ـ وذكر منها : لبس الحق بالباطل.

قلت: وهذا من أوضح الأمور في غلاتنا فإذا قال الواحد منا قولاً ألبسوه لباساً غير لباسه وقدموه ليستفتوا فيه بعض الناس، وهذه المسألة من أوضح السمات في غلاتنا هداهم الله، وهي سمة عامة في كل غلاة الفرق الإسلامية.

٤٧ ـ وذكر منها الشيخ: كتمان الحق مع العلم به.

قلت: وهذا في بعض غلاتنا ومعتدلينا، ويرددون في ذلك بعض الشعارات مثل: ما كل ما يعلم يقال! وحدثوا الناس بما يعرفون! لا نريد أن نخسر الســـاحة! التدرج في الدعوة! وغير ذلك من الأعذار التي يعطلون بها واجب تبليغ العلم وتحريم كتمانه.

٤٨ ـ وذكر منها: القول على الله بلا علم.

قلت: وهذا كثير جداً فهم يرددون أن الله أراد كذا وفعل كذا لأجل كذا ...وحرم كذا وأباح كذا..الخ.

٤٩ ـ وذكر منها: التناقض الواضح.

قلت: مثل غلو غلاتنا في تكفير وتبديع الفرق الإسلامية فإذا جئت لهم بأقوال قالها بعض سلفهم تقتضي على منـــهجهم الـــتكفير أو التبـــديع أخـــذوا في الإرجاء،وكذا تجدهم بيالغون في ذم الخارجين على عثمان وتكفيرهم مع غلوهم في الثناء على كل الصحابة ! مع أنه كان في رؤوس الخارجين على عثمـــان صحابة رضوانيون! بل في معارضيه بدريون، ويأتي التناقض الآخر عندما يتحرجون من تخطئة الطلقاء الخارجين على علي! ومن التناقضات المشهورة تشنيعهم على من اتهم ابن تيمية بالنصب وسكوتهم عمن اتهم أبا حنيفة بالكفر والزندقة!

٥٠ ـ وذكر منها: الإيمان ببعض المنزل دون بعض.

قلت: كإيمان بعض غلاتنا بـــ(تلك أمة قد خلت)! وتركهم الإيمان بـــ(فقاتلوا التي تبغي)! مع أن الآية الأولى ليست قطعية الدلالة على ما يزعمون بعكـــس الأخيرة.

٥١ ـ وذكر منها: مخالفتهم ومجادلتهم فيما ليس لهم به علم!!

قلت: كجدال بعض غلاتنا في التاريخ –عبدالله بن سبأ والقعقاع نموذجاً– وهو لا يعرف عن الروايات في الموضوع ولا تحرير المسألة ولا محل الخلاف.

٥٢ ـ وذكر منها: دعواهم اتباع السلف! مع التصريح بمخالفتهم.

قلت: وكذا غلاتنا فهم يزعمون أنهم على منهج السلف الصالح ويقصرون السلف الصالح على أربعة أو خمسة في القرنين الثالث والرابع واثـــنين في القـــرن الثامن ويهملون السلف الحقيقي وهم المهاجرون والأنصار مع كبار النابعين بإحسان، لكن معظم الأمور التي يدندنون حولها من تكفير وغلو في العلماء وغير ذلك... لم يكن عليها هؤلاء السلف الحقيقي وإنما نشأت مع الحنابلة من عهد المتوكل في منتصف القرن الثالث.

وأخيراً نقول: هكذا كثير من المسائل التي عدها الشيخة محمد من مسائل الجاهلية هي موجودة اليوم بين الغلاة من أتباعه حاشا المعتدلين فأصبح الغلاة الذين يمنعون من تخطئته ولو بالدليل والبرهان من أبعد الناس عن دعوته ومنهجه وربما لو كان حياً لبدأ بتكفيرهم وقتالهم! ولأثنى على من يظنونه خصماً له مثلمـــا نظن أن الإمام علياً لو كان حياً لبدأ بالإنكار على الغلاة من الشيعة وجلدهم.

وأنه أدعى النبوة، وأنه يبغض النبي صلى الله عليه وآله ويستهين به، وغير ذلـــك مـــن الأكاذيـــب أو الإلزامات الباطلة.

فأدى هذا الغلو من الخصوم لغلو مضاد من بعض أتباع الشيخ الذين اعتبروا كل من خَطَّأ الشيخ خصماً للدعوة الإصلاحية، ومن خصوم العقيدة السلفية، وقد يبالغ بعضهم ويجعل هذا من خصوم الإسلام!.

وهذا ليس غريباً فكل زعيم ديني يظهر في أتباعه وخصومه غلاة؛ فالأتباع يعتبرون الرد عليه رداً علـــى الإسلام نفسه، وهذا لب الغلو الذي نذر الشيخ نفسه في ذمه والتحذير منه ومحاربـــة أهلـــه باللســـان والسنان، والخصوم يعتبرون الدفاع عنه والإقرار بمحاسنه ومواطن صوابه إعانة على هدم الإسلام ونشر دين الخوارج.

من أسباب بروز التيار المغالي:

ثم هناك أمر آخر ينبغي التنبه له لأهميته، وهو أن خصوم الشيخ وغلوهم في تكفيره وتبديعه؛ ساعد التيار المغالي في أتباع الشيخ وتلاميذه بالظهور، والنطق باسم الدعوة، واحتكار الدفاع عن العقيدة الســـلفية، والغلو في ذم المخالفين، مع الغلو في الدفاع عن أخطاء الشيخ، فأصبح ما دعى إليـــه الشـــيخ بـــالأمس مهجوراً من الخصوم والأتباع على حد سواء إلا من رحم ربك[١٤]، وهذا ظاهر في زمننا هذا، فلا تكاد تجد إلا غلواً في الشيخ أو غلواً ضده، وليس عند المغالين من الطرفين استعداد للحوار الهادئ البعيد عـــن التعصب، وعلامة المغالي ضد الشيخ أنه لا يقبل إلا وصفه بكل سوء، كما أنه من علامة المغالي فيـــه — وهو ما يهمنا في هذه الرسالة– أنه لا يقبل نقد الشيخ، ويستعظم تخطئته، وكأن تخطئته مـــن علامـــات الردة عن الإسلام، فمن وجدتموه يعترف بأن الشيخ قد أخطأ أو عنده استعداد لقبول هذا فهو معتدل، ومن رفض الحديث في الموضوع فهو من الغلاة، وهذا يطرد في جميع أصناف الغلاة، سواء الغلاة في أحد الصحابة، أو العلماء أو الأئمة الأربعة ... الخ.

وقد تشوهت صورتنا —نحن طلبة العلم في المملكة– عندما استحوذ الغلاة على تقييم دعوة الشيخ مع ما يصاحب هذا من غلو في الشيخ ودعوته فشاع عنا في العالم الإسلامي أننا لا نعترف بأخطاء الشـــيخ،

[١٤] وهكذا احتكر غلاة الوهابية الدفاع عن الوهابية مثلما هم اليوم محتكرون الدفاع عن الشيخ كما ترونه في الردود المتسرعة والمتشنجة لبعض الأخوة على هذه المذكرة، ممن يكادون يحكمون بالردة على من خطّأ الشيخ! وهذا يشبه احتكار النواصب (ومنهم غلاة السنة) الرد على الشيعة والنطق باسم السنة، ومن ثمّ أخذوا يلمزون علي بن أبي طالب وأهل بيته باسم السنة! ويثنون على معاوية ويزيد وشيعتهم باسم السنة! — كما نفعل في كثير من رسائلنا الجامعية!–، ثم أصبح من ينقدهم معرضاً للاتهام بالتشيع والرفض! مثلما أصبح من ينقد غلاة الوهابية معرضاً للاتهام بمخاصمة الدعوة السلفية، وربما مخاصمة الإســـلام والدعوة لعبادة القبور! فهذا كله يحدث لسبب بسيط؛ وهو أن الغلاة هم المتصدرون في الدفاع والبيان، فدافع عن السلفية من ليس سلفياً، ودافع عن السنة خليط من السنة والنواصب، والمدافعون أو المبينون غالباً يكون لهم الصدارة في التحدث باسم المذهب أو الحركة أو التيار، ويكتسبون الاعتراف مع الـــزمن، فهم في البداية يرتضون الجوار! ثم تأتي مرحلتهم الثانية بإخراج أهل المنزل الأصلي! وهذه السنة الحياتية موجودة في المذاهب والقبائل.

وأننا نعده معصوماً ولا نقبل النقاش في تخطئته والرد على ما أخطأ فيه، وأنه أصبح عندنا كأحد الأنبياء، وغير ذلك من الاتهامات التي –للأسف- يساعد على انتشارها بعض الغلو الموجود عندنا في الشيخ.

فمن هنا جاءت أهمية هذه المراجعة لكتاب مشهور من كتب الشيخ محمد واسمه (**كشف الشبهات**) انطلاقاً من عدة أمور:

الأمر الأول: أن أي منجز بشري يحتاج من وقت لآخر للمراجعة والنقد، ولا عيب في هذا لا شرعاً ولا عقلاً.

الأمر الثاني: أن بعض الأخطاء التي وقع فيها الشيخ وخاصة في التكفير؛ قد أوقعت كثيراً من طلبة العلم فيها تقليداً أو مغالاة، داخل المملكة وخارجها.

الأمر الثالث: إحجام كل طلبة العلم في المملكة تقريباً عن بيان تلك الأخطاء؛ فأصبح بيانها (فرض عين) على كل طالب علم قادر، وبعد هذا النقد –إن سمح له بالنشر- يصبح الفرض كفائياً؛ إن فعله البعض سقط عن الباقين ولعلي من ذلك البعض إن شاء الله.

الأمر الرابع: من حق كل طالب علم في المملكة أن يذب تهمة الغلو عن نفسه، وعن أبناء بلده فكثير من الناس يعرضون عن الأخوة الدعاة القادمين من المملكة؛ بحجة أنهم يكفرون المسلمين وأنهم يتمحورون حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا حول النبي (صلى الله عليه وآله)؛ هذا معنى ما قرأته في بعض الكتب التي تنتقد غلونا في الشيخ، وهذا أيضاً معنى ما سمعته من بعض الأخوة الذين خرجوا للدعوة خارج المملكة نقلاً عن تصورات بعض المسلمين، وقد اشتكى هؤلاء الدعاة من الصدود والإعراض من الناس، وهذا الصدود والإعراض نتحمل جزءاً كبيراً من مسئوليته، وإن حاولنا أن نتغافل عن هذه المسئولية أو ننكرها.

فمن حقنا أن نرفع من سمعة ديننا وأنفسنا ووطننا – وطن الحرمين الشريفين – بأننا لا نتبع إلا محمد (صلى الله عليه وآله) وأننا لا نتمحور إلا حول قال الله وقال رسوله، وأننا –وإن كنا في الجملة ثمرة جهود الشيخ رحمه الله- إلا أننا:

لا نجعله نبياً معصوماً

بل نخضع أقواله لأحكام الشريعة

ولا نجعله فوق الشرع

بل هو وكل العلماء محكومون بالشرع

كل يؤخذ من قوله ويرد

وكل يستدل لقوله لا بقوله

وكل لم ينزل من السماء

وكل مأمور بالرجوع إلى الأدلة الشرعية لا إلى أقوال الرجال..

هذه هي السلفية الحقيقية .

فهذه القواعد العظيمة تطبق على الجميع، ويجب أن يحترمها ويلتزم بها الجميع، ويجب أن يعرف العالم أن هذه هي عقيدتنا[١٥] وهذا هو مذهبنا لا مذهب لنا غيره، وأننا مستعدون لنقد أخطاء علمائنا مع الاحتفاظ لهم بمحبتهم والدعاء لهم وتقدير جهودهم، فلا تناقض بين الأمرين إلا على المغالين من الطرفين.

فمن رأى أن حبنا لهم يمنع من نقدنا لهم فهو مغالٍ فيهم ، ومن رأى أن نقدنا لهم يمنع من حبنا لهم فهو مغالٍ ضدهم ، فالحب والنقد، التقدير والمؤاخذة، كل هذا يسير بلا تناقض ولا طغيان طرف على آخر، ومن لم يعقل هذا فلن ينتفع بحوار ولا جدال ولا برهان، لأن هذه من أساسيات العلم والإنصاف.

سؤال:

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو أن البعض قد يقول: كلامك هذا صحيح من حيث النظرية؛ ولكن التصحيح لا نسمح به من المالكي ولا فلان أو فلان! وإنما نسمح به من علماء (مؤتمنين)! على الدعوة! ويبالغ بعضهم متهماً ويقول: من هو هذا (الزيدي)! النكرة الجهول! حتى يأتي يعلمنا العقيدة؟!.

و للجواب أقول:

أولاً: البناء على المقدمات الخاطئة من سمات الغلاة، فخصمكم لا يقر لكم بأنه زيدي، إلا إذا كانت الزيدية عندكم تعني محبة الإمام علي وذم الظلم وأهله فنعم هو زيدي، وإن شئتم فقولوا : رافضي وما أجمل أن نتمثل هنا بقول الشافعي:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي!

وكون هذا الشخص يصوب علياً ويحبه لفضله وعدله لا يعني أن هذا الأمر خاص بالزيدية، ثم ذلك (النكرة الجهول)! لا يقول بما هو من خصائص الزيدية أو بما ينسب غليها كالقول بعصمة الأربعة (علي

---

[١٥] مع التحفظ على لفظة (العقيدة) لكنني أخاطب بالمفهوم الشائع، أما اللفظ الشرعي فهو (الإيمان) وقد هجرنا هذا اللفظ الشرعي وجعلنا مكانه هذا المصطلح (المستحدث)، لأن المصطلح المستحدث (العقيدة) وهو مصطلح فضفاض غير محدد إلا من أقوال الغلاة، ولذلك يحرص الغلاة على التحاكم هذا المصطلح (المستحدث) لأنه يتيح لهم ظلم الآخرين من استحلال دمائهم والحكم عليهم بالنار، كما فعل غلاتنا مع الأشاعرة والصوفية وأبي حنيفة وأصحابه والمعتزلة والشيعة والإباضية وغيرهم من المسلمين، ولا يمنع غلاتنا من ظلم هؤلاء إلا العجز، وهذا الظلم منبعه (كتب العقائد) لاعتمادها على أقوال الرجال وتأثرها بالخصومات وهجرها النصوص الشرعية، بخلاف (الإيمان) فهو مقيد بالنصوص الشرعية، وقد توسعت في هذا الموضوع في كتاب (قراءة في كتب العقائد – مطبوع).

وفاطمة الزهراء والحسنان)، ولا تقديم العقل على النقل، ولا التبرك بالصالحين، ولا غير ذلك مما يــذكر أنه من الأصول الزيدية[16]، وكونه يذم بغي معاوية فهذا لم يفعله إتباعاً للزيدية وإنما للنصوص الشــرعية التي تذم البغي وتقرنه مع الفحشاء والمنكر كما في قوله تعالى:(وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي)، فإذا لم يرتب هذا (المجهول) الأجر على البغي ولا على الفحشاء ولا المنكر كما تفعلون فليس معنى هذا أنـه يتبع بمذهب الزيدية[17].

---

[16] وقد شاركهم غيرهم في بعض هذا كالتبرك بالصالحين فهذا يكاد يكون عليه جمهور أهل العلم كما نقل الحافظ ابن حجر.

[1717] أرجو ألا يفهم أحد أنني أعني بهذا الكلام ذم الزيدية، حاشا وكلا أن نذم عباد الله الصالحين، فالزيدية هم كغيرهم من المذاهب يؤخذ منهم ويرد، وفي القوم علماء وفضلاء وزهاد ولهم فضل كبير في تاريخ الإسلام الفكري والسياسي لكن الاعتراف بفضلهم لا يعني الانتساب إليهم فنحن نعرف فضلهم كما نعرف فضل الشافعية والحنفية والمالكية والظاهرية ولا ننتسب لواحد من هذه المذاهب، علماً بأن الانتساب للزيدية ليس محرماً شرعياً ولا عيباً قبلياً حتى يذمه هؤلاء، بل لو كان الأمر كما يصور هؤلاء لكان الانتساب لمذهب رجل من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله (الذين هم خيار من خيار من خيار والذين نصلي عليهم في كل تشهد) أفضل من الانتساب لمذهب رجل من بكر وائل أو بني تميم أو الأصابح، لكن لأن المذهب الزيدي مثله مثل غيره من المذاهب فيه الخطأ والصواب، ولأنه على ما يبدو لي غير مضبوط المصادر – ربما لجهلي- ولأنني أجهل الكثير من منهجه في الجرح والتعديل، وكونه فيه غلاة وإن كانوا أخف من غلاتنا، لذلك فأنا أتعبد الله بما يطمئن إليه قلبي، وإلا فالزيدية المتقدمون منهم خاصة كانوا سادة أهل السنة فالإمام زيد بن علي رحمه الله وكـذا النفس الزكية ناصرهم أكثر أهل الحديث والفقه في زمنهم، بل إن ثلاثة من الأئمة الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعي) كانوا من أتباع أئمـة الزيديـة في زمنهم، فأبو حنيفة كان من أتباع وتلاميذ زيد بن علي ثم من أتباع النفس الزكية بعده، (وقد سمه المنصور لهذا السبب) وكذا كان الإمـام مالـك يفـتي بالخروج مع النفس الزكية وقد سجن لأجل ذلك بسبب فتواه (ليس على مستكره بيعة) وكان الشافعي مع أحد أئمة الزيدية في اليمن؛ وكـاد الرشـيد أن يفتك به، وكان معهم أيضاً من كبار علماء أهل السنة محدثون وفقهاء كبار كمنصور بن المعتمر وسلمة بن كهيل وسفيان الثوري (وكان يقول بعد قتـل إبراهيم بن عبد الله الزيدي : ما أظن الصلاة تقبل إلا أن فعلها خير من تركها) وهذا يدل على شدة تأثره وتأنيبه نفسه، وناصرهم الأعمش وسـلمة بـن كهيل وعباد بن العوام ويزيد بن هارون وهشيم بن بشير (أستاذ الإمام أحمد) والعوام بن حوشب ومسعر بن كدام وشعبة بن الحجاج أمـير المـؤمنين في الحديث (وكان يسمي القتال مع الزيدية: بدر الصغرى) والحسن بن سعد الفقيه ويزيد بن أبي زياد ومحمد ابن أبي ليلى وقيس بن الربيع وأبو عمرو بن العلاء وسلام الحذاء وأبو داوود الطهوي وفطر بن خليفة وعيسى بن أبي إسحاق السبيعي وأخوه يونس وأبو خالد الأحمر وعبد الله بن جعفر والد علي بن المديني وأسامة بن زيد (وهو محدث وليس الصحابي)، ومسلم بن سعيد وخليفة بن حسان وإسحاق بن يوسف الأزرق والأصبغ بن زيد وهشام بن حسان وصالح المروزي والحجاج بن بشير وأبو العوام القطان وعبد ربه بن زيد وعبد الحميد بن المحبق والحكم بن موسى وعمران بن شبيب وعباد بن منصور وخالد بـن عبد الله الواسطي (وليس القسري الأمير المشهور بالظلم) ويونس بن أرقم والمفضل الضبي وعمر بن عون ومؤمل بن إسماعيل، وغيرهم كثير من أهل العلـم والفضل والفقه، يمكن لمن شاء مراجعة تاريخ الطبري (الأعوام ١٢٢هـ، ١٤٥هـ) ومقاتل الطالبيين للأصفهاني وغيرهما من المصادر، بل بعض الروايـات تذكر الإجماع على نصرة الزيدية في تلك الأزمان ولا يستثنون إلا أفراداً.

إذن فالانتساب للمذهب الزيدي ليس محرماً ولا عيباً وأنا لا أنفيه عن نفسي تعالياً، فقد انتسب إليه ونصر أصحابه أكثر الفقهاء والمحدثين في القرن الثـاني ومنهم من هو أفضل وأعلم من أحمد بن حنبل وابن تيمية فضلاً عن البربهاري وابن بطة، وإنما نفيت الانتساب للزيدية عن نفسي لأنني من حيث الواقـع سني النشأة والمصادر والممارسة العبادية وهذا لا يعني أنني إن اكتشفت حقاً عند الزيدية أو عند غيرهم سأتنكر له بحثاً عن التزكية من الغلاة! تلك التزكيـة التي هي أقرب بالجرح من التزكية، فالله هو الذي نبحث عن التزكية منه لا من البربهارية، فالدين لا نريد به سوى وجه الله ولو كنت أريد به تزكية النـاس والجاه لما كنت في هذه الخصومات من أكثر من عشر سنوات ولعرفت كيف أجامل الغلاة وأكفر المسلمين وأترفع على عباد الله لأصـل للجـاه والمـال والمنصب كما يفعل بعضهم، ثم لا أدري لماذا افتخار غلاة السلفية على الزيدية وليس عندهم نسبهم الشريف ولا تدينهم الرصين ولا عقلهم الصـريح ولا زهدهم في الدنيا ولا نضالهم من أجل الحرية والعدالة ولا تاريخهم االبطولي؟ حقاً إن الأمر غريب! وكأن المفتخرون لا يقرأوا التـاريخ ولا يعرفـون قـدر الرجال.

ثانياً: لا يجوز للمصلح أو الباحث أن ينتظر حتى يقرر الآخرون أنهم يقبلون منه أو لا يقبلون، فالشيخ محمد نفسه لم ينتظر هذا من علماء زمانه، وإنما كان يعرض عليهم الدليل ويطالبهم بالدليل، مع أنهم كانوا يرونه أقل علماً فضلاً، وكذلك فعل العلماء والدعاة عبر العصور.

فالواجب على المصلح أن يعرض الحق مع أدلته، ويرد الباطل دون انتظار أن يرضى الطرف الآخر أو يسخط، فالدين ليس حكراً على فئة من الناس، وإنما هو للجميع ثم يحاسب الشخص على أدلته وبراهينه، ويرد عليه بالدليل والبرهان إذا كان طالب حق.

ثالثاً: هذه المقولة من قصر التصحيح على بعض الناس باطلة؛ وقد رددها كفار قريش بقولهم (وقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)، فقد كان الذي منع كثيراً من الكفار عن الهداية أنهم لم يرتضوا البيت الهاشمي للنبوة! وكانوا يريدون أن تظهر في بيوتات أخرى (مؤتمنة على مصالح قريش!) لكن الله عز وجل لم يستجب لهم فالله (أعلم حيث يجعل رسالته) وهذا من الابتلاء ليتبين من يتبع الحق ومن يتبع القبيلة.

وكل المصلحين على مر التاريخ يواجهون هذه الشبهة؛ مع أن الحق وقوله فرض على كل مسلم، وليس مختصاً بفئة من الناس، ولا منطقة من المناطق، ولا أظن عاقلاً متديناً من طلبة العلم يرى هذا الرأي(الجاهلي)؛ الذي بعث بنقضه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله سلم، قبل أن يقوم بنقده الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه المشهور (مسائل أهل الجاهلية).

رابعاً: النيات علمها بيد الله عز وجل وكم من شخص يؤتمن فيخون، وكم من آخر يظن به الظنون وهو خير للإسلام من ألف من أمثال الرجل المؤتمن، وعلى هذا فلنترك البحث في النيات لله، وننظر في الأدلة وأيها أقرب لكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله).

خامساً: المؤتمنون ما زالوا ساكتين! وإلى الآن لم يبينوا الأخطاء التي وقع فيها بعض علماء الدعوة؛ حتى اغتر بتلك الأخطاء بعض الشباب والحركات التي تتسرع في التكفير وترمي به الأبرياء، ولا أريد ضرب الأمثلة، فهي واضحة للجميع، ولا أظن بعض (المؤتمنين) سيتركوننا لبيان الحق، فضلاً عن المشاركة في ذلك، لأن مصلحتهم – لا مصلحة الإسلام- تقتضي المعارضة لكل ناصح، والتشكيك في نيته ومنهجه، وما زالوا بحاجة لجهاد نفس ووقت طويل حتى يصلوا هذه المرحلة التي نراها ضرورية في هذا الزمن أكثر من أي وقت مضى.

على أية حال : لابد أن يكون عندنا الشجاعة للمبادءة بنقد أخطائنا، وتصحيح بيتنا الداخلي، وعدم الخجل من ذلك، لأن الأمر دين وليس مناورة سياسية ولا طلب دنيا.

والخلاصة أقول:

كل العلماء الصالحين والعباد العاملين عبر العصور يجب علينا محبتهم وتقديرهم ومعرفة فضلهم؛ لكن دون تقديس ولا مجاملة لهم على حساب الحق، فالحق يجب أن نعمل على إظهاره، وتبرئة الكتاب والسنة من أخطاء البشر.

ومن هذا المنطلق فإنني وجدت الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله – على فضله وأثره الدعوي الذي لا ينكره منصف– قد وقع في أخطاء أصبحت سنة متبعة عند بعض طلبة العلم؛ الذين أصبحوا يطلقون التكفير في حق علماء ودول وطلاب علم؛ بناءً على ما قرره الشيخ محمد في بعض كتبه ورسائله، وأصبح الواحد من هؤلاء يحتج بأن الشيخ كان يرى كفر هؤلاء العلماء، وكفر هؤلاء الحكام ؛ وكفر من هذه صفته....الخ.

والتمسك بكلام الشيخ رحمه الله في هذا الأمور تمسك بالخطأ، والخطأ لا يجوز التقليد فيه.

لكن بعض طلبة العلم لم يتنبه على مواضع هذا الخطأ، ويتهم العلماء المعتدلين بمجاملة غيرهم من العلماء والحكام في العالم الإسلامي، لأنهم لا يكفرونهم! بل وصل ببعضهم إلى تكفير العلماء والحكام جملة، سواء في هذه البلاد أو علماء وحكام المسلمين عامة[١٨]، بناءً على ما كتبه بعض العلماء أو المصلحين كالشيخ محمد أو سيد قطب رحمهما الله، وهؤلاء المتوسعون في التكفير المهملون لضوابطه وموانعه؛ سبق أن تحاورت معهم في مقالات هادئة نشرت في بعض الصحف المحلية، وكان لي كتاب –لم يسمح له بالنشر– في الرد على هذا التيار بأسلوب هادئ بعيداً عن التشنج والظلم، مع وجود البراهين التي أزعم أنها كانت مقنعة ونابعة من النصوص الشرعية.

وكلامي هناك وهنا وفي كل وقت لم يكن يستهدف المتوسع في التكفير فقط بالرد، وإنما يستهدف أيضاً نقد أولئك الذين يحاولون أن يركبوا الجملين جميعاً! فيردون على أهل التكفير ويغلون في الدفاع عن أخطاء أئمة الدعوة!.

---

[١٨] وكلامي هذا لا يعني تبرئة حكام المسلمين أو علمائهم من الخطأ أو الهوى أو الظلم لكن هناك نقد للخطأ بدرجته وهناك شيء آخر اسمه (إخراج من الملة) فهذا الذي ننكره لأسباب موضوعية من جهل أو تأويل، وإصلاح الأمور لا يأتي بتكفير واستحلال دماء وإنما يأتي بطرق أخرى من نقد ونصيحة وإعانة على معرفة جوهر الخطأ وكيفية تلافيه أو التقليل من آثاره ومحاصرته، فالمجتمع أو الدولة – أي دولة– مشروع الجميع عليهم أن يصبر بعضهم لبعض حتى يحققوا أكبر قدر ممكن من المصالح الدينية والدنيوية، والغريب أن الكفار يديرون شؤونهم بهذا التفاهم العلمي الهادىء ونحن نتناحر ويأكل بعضنا بعضاً حتى عرضنا الإسلام عرضاً مشوهاً يصد الناس عنه، نريد الطرح العلمي لحل المشاكل العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية وهذا الطرح العلمي الهادىء هو في مصلحة الجميع ولا أظن عاقلاً إلا يرحب به، سواء كان عالماً أو حاكماً أو مثقفاً مادام أن الحرص على الإصلاح هو مطلب الجميع ويجب أن يبقى هاجساً للجميع وبوادر هذا الإصلاح يجب ألا تتأخر فالمستقبل وتحدياته لا تقبل التأجيل.

أو بلغة أخرى نقول: يردون على هؤلاء الشباب الذين كفروا العلماء والحكام بأدلة العلماء الذين كانوا يردون على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة في هذا الجانب خاصة، أعني موضوع التكفير، فكأنهم يردون على الشيخ محمد بهذه الطريقة التي تجمع بين المتناقضات.

ونحن نقول لهم: إن كان هذا التناقض بجهل فما منا من لم يجهل ولا مانع من التصحيح والرجوع عن الأخطاء، وإن كان تناقضهم بعلم وسياسة – زعموا- فالله حرم التلون وهو الظهور بوجهين؛ وقد ذم النبي (صلى الله عليه وآله) ذا الوجهين، فيقال لهم: إن كنتم رادين على هؤلاء الشباب؛ فعليكم أن تردوا على بعض الأخطاء في التكفير التي وقع فيها الشيخ محمد وبعض علماء الدعوة ضد علماء وحكام زمنهم.

وإن كنتم تدافعون عن الشيخ محمد وعلماء الدعوة فيجب أن تدافعوا عن هؤلاء الشباب، لأنهم مقلدون له ولبعض علماء الدعوة وستأتي النماذج.

وأنا بحمد الله –وإن أساء بي البعض الظنون[١٩]- لا أحب كثرة المجاملة على حساب الحقيقة لذلك أجد نفسي متخاصماً فكرياً مع غلاة المذاهب والطوائف والتيارات المختلفة، وأزعم أن لي وجهاً واحداً وأرد على شبهات التكفير سواءً قالها خصم أو صديق، قوي أو ضعيف، طالب علم أو عالم أو عامي.

وردي على هذه الشبهات أراه واجباً دينياً مع الاحتفاظ بحق الإسلام للجميع وحق خاص للشيخ محمد بن عبد الوهاب باعتباره كان سبباً في إيجاد هذا الكيان الكبير، الذي التقى فيه أبناء هذا الوطن من أقصى الشمال لأقصى الجنوب ومن أقصى الشرق لأقصى الغرب، فكان الشيخ سبباً –بعد توفيق الله- في القضاء على التشرذم والتنازع مع بث العلم والدعوة لتصحيح الإيمان مما لحقه وألصق به من الشوائب والخرافات الشعبية، كل هذا شيء نعترف به و نقدره؛ ونحب الشيخ لأجله في الله و ندعو له، لكن أن تكون هذه المحاسن مانعة من الملحوظات العلمية عليه فلا؛ لسبب بسيط وهو أنه بشر يخطئ ويصيب، ولأن لأخطائه أثر على من بعده، فهو قد بالغ في الإنكار حتى وصل لتكفير مسلمين متيقن إسلامهم ونتج عن ذلك التكفير استحلال الدماء والأموال وارتكاب أخطاء كبيرة في الممارسة ولا تزال ترتكب من وقت لآخر باسم الإسلام والإسلام بريء من هذه الأخطاء التي يجب أن نحملها الأشخاص ولا نحملها الإسلام، ولا خير فينا إن كان حرصنا على تبرئة الشيخ وعلماء الدعوة أكبر من حرصنا على تبرئة الإسلام نفسه، فبئس أتباع الإسلام كنا إن كانت التضحية بالإسلام تهون علينا من أجل تبرئة

[١٩] وهذا أمر طبيعي لا ننزعج منه، فكل من أراد الإصلاح لا بد أن يجد المصاعب، فمن سنة الله في خلقه أنه ما من نبي ولا مصلح ولا آمر بالمعروف إلا ويسيء به البعض الظنون فكيف بأمثالنا؟.

الأشخاص، ومهما كان علينا من حقوق للشيخ رحمه الله، فحقوق الإسلام أولى بالرعايـــة وهـــو أولى بالدفاع وتبرئته من تنظيرات المتبوعين وممارسات الأتباع.

أيضاً يجب أن نعرف أنه عندما يقوم بعض الباحثين بتعقب الشيخ في تضعيف أحاديث صححها، أو بيان مسائل أخطأ فيها ليس نهاية الإسلام، ولا يعني القضاء على منجزاتنا العلمية والدعوية بالفشل، وإنما من حيوية دعوة الشيخ وقوتها أنها تنتج من أبنائها من يتعقب بعض أقواله التي اجتهد فيها فأخطأ.

وهذه ميزة العلماء الربانيين أنهم يعطون منهجاً، ولا يلزمون أتباعهم باجتهاداتهم، وهذه الدراســة لــو يسمح لها بالنشر لكانت من أكبر الأدلة في الرد على مزاعم كثير من المسلمين والكفار في العالم الــذين يتهموننا بالتعصب للشيخ لا للكتاب والسنة.

وأنا على أمل إن شاء الله أن يجد هذا الكتاب القبول وأن يحسن طلبة العلم الظن، ويقــرؤوا الكتــاب بإنصاف وينظروا ما فيه من حق فيتبعوه وما فيه من خطأ فيردوه.

لأسرة الشيخ خاصة:

وأنا أخاطب أسرة الشيخ خاصة وأقول لها:

كما كان لجدكم الكريم رحمه الله الفضل في توحيد هذا الكيان، ونبذ البدع والخرافات عن كثير مــن الناس، فالواجب عليكم أن تكملوا المسيرة، وتنتصروا للشرع وللحق؛ الذي أصاب فيه وهـــو الكـــثير الطيب إن شاء الله، لا للأخطاء التي وقع فيها الشيخ بحكم الطبع البشري؛ فهذا ما يريده الشـــيخ مـــن أسرته الكريمة، وأتباعه والمحبين له، وقد قابلت بعض ذرية الشيخ رحمه الله ووجدت عندهم قبولاً لنقـــد أخطائه وأخطاء علماء الدعوة أكثر من غيرهم، وهذا المأمول فيهم، وهذه تشبه أن أجد بعض أهل البيت ينكرون ما يفعله بعض الناس من الغلو في جدهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فالحمـــد لله الـــذي أوجد في ذرية الإمام علي بن أبي طالب من ينكر الغلو الذي يعتقده كثير من الناس فيه وفي أهل بيتـــه رضي الله عنهم جميعاً، والحمد لله الذي جعل في ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ينكر الغلو الذي يعتقده بعض من الناس فيه وفي ذريته، مع الفرق الكبير بين الرجلين؛ (الإمام علي والشيخ محمد)؛ لكـــن لا بأس من التشبيه من وجه من الوجوه.

وأقول أيضاً: هذه والله نصيحة محب للشيخ مقدر لجهوده وعلمه، ولا يجوز أن تسمعوا لمن يشـــكك في النيات، ويفسر نقدي هذا تفسيراً خلاف ما دونته هنا، ومن كان عند شك أنني أكتب هذا لغير مصلحة الإسلام والعلم ولأهداف غير مشروعة ونحو هذا؛ فأنا مستعد لمباهلته لنجعل لعنة الله على الكاذبين.

فمن شكك أو فسر الموضوع تفسيراً سيئاً وذهب به مذهباً بعيداً فليستعد للمباهلة.

لأن بعضهم -للأسف- لا يجدي معه أن تشرح أهدافك وتخبر عن نيتك وقصدك، فإن كان لا يقتنع بهذا حتى مع البيان والقسم فلا يجدي فيه إلا المباهلة.

وقبل الختام:

أعلن مجدداً أنني سأقبل أية ملحوظة على بحثنا هذا، وأن الخطأ والصواب مزيج لا يخلو منه بشر إلا من عصمه الله من الأنبياء والمرسلين، ولكن الملحوظة التي أقبلها وأصحح خطئي بسببها هي الملحوظة المدعمة بالدليل، وليس كل من كتب شتماً أو تبديعاً يكون قد رد باطلاً أو أقام حقاً أو دفع الطرف الآخر للمراجعة والتصحيح، فلا يتعب أمريء نفسه بالإكثار من الكلام الباطل، والتأويل المتكلف، فليس في نهاية الأمر أية خطورة إذ أن خلاصة هذا البحث هو القول بأن (الشيخ رحمه الله أخطأ في التكفير)، وهي مسألة سهلة ميسورة ليس فيها انطباق السموات على الأرض ولا طلوع الشمس من مغربها.

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله[٢٠].

كتبه

حسن بن فرحان المالكي

الرياض، ١٤٢١/٨/١هـ

وأعيدت المراجعة والتصحيح في ١٤٢٢/٥/٢٢هـ

[٢٠] قد يلاحظ بعض الأخوة أنني غالباً أقتصر في الصلاة على النبي والآل دون الصحابة ليس إنكاراً لفضلهم ولا ملتزماً بذلك، وإنما محاولاً التذكير بالنص الذي نردده في كل تشهد (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد)، فليس فيه الأحاديث التزام الصلاة على الصحابة كما نفعل اليوم اتباعاً لبعض محدثات السلفية الأولى ولم نكتفِ بالصلاة على الصحب حتى أدخلنا فيها كلمة (أجمعين)! حتى يدخل معاوية والوليد وقاتل عمار! فالتزام هذا والإنكار على من اقتصر على الآل، للأسف أنها من البدع المشتهرة عند غلاتنا، تلك البدع التي ابتدعناها لمعارضة الشيعة، وهي دليل على رغبة الغلاة منا من قديم ألا يختص أهل البيت بشيء من الخصائص!، ولولا أن الصلاة على الآل يردده المسلمون في كل تشهد لنسوه مثلما نسوا أن المنزلة الهارونية وبغي معاوية.

لماذا كشف الشبهات؟!

ركزت على كتاب كشف الشبهات –نموذجاً– مما كتبه الشيخ؛ لأن هذا الكتاب على صغره يتميز بالوضوح، وتلقين الحجج والبراهين، ولوضوح الأفكار فيه، ولانتشاره الواسع بين كثير من طلبة العلم وأثره الواضح فيهم.

وأنا لن أعرج على محاسن الكتاب، لأنه سبق أن ذكرت فضل الشيخ وجهوده ودعوته، فما ذكره من محاسن في الكتاب يدخل ضمناً في هذا الكلام العام هذا أمر.

الأمر الآخر: أن هذه القراءة هدفها بيان الملحوظات والأخطاء، فهي تراعي أبرز الملحوظات المحورية التي تفسر انتشار التكفير في بعض كتب الشيخ وبعض كتب من بعده من علماء الدعوة.

فكانت وظيفة هذا العمل أن أكشف (سر) وجود هذا التكفير وهذا السر كان عبارة عن (شبه من أدلة) وليست هوىً من الشيخ أو حباً لتكفير المسلمين –وإن كنت لا أغفل تأثير الظروف السياسية والخصومة المذهبية – وإنما كانت نتيجة استدلال بضعيف أو القطع في أمور ظنية أو استدلال غير صحيح من دليل ثابت أو نحو هذا مما لا يسلم منه بشر، وسيأتي مبيناً بشكل موسع.

وسأذكر أبرز الأخطاء والملحوظات أيضاً لأن الخلاف فيها وليس الخلاف في الاعتراف فيما أصاب فيه والثناء عليه.

أولاً: الملحوظات على كتاب كشف الشبهات[21]:

وهذه الملحوظات سأذكرها بالترتيب، وسأذكر كلام الشيخ بين قوسين ثم أجيب على ما أراه من خطأ وتجاوز، علماً بأن الكتاب طبع عدة مرات بتحقيق بعض من ينتسب إلى العلم ولم ينبهوا على خطأ واحد من هذه الأخطاء الآتية، وهذا منهم إما تواطؤ على الخطأ أو عدم إدراك للخطأ نفسه، وكلا الأمرين أحلاهما مر، وهذه من الأمور التي شجعتني على كتابة هذا التعقيب، ولو قام أحد المحققين بالتنبيه على الملحوظات الرئيسة لما كتبت هذه التعقيبات والملحوظات التي من أبرزها ما يلي:

سرد أبرز الملحوظات على كتاب كشف الشبهات:

الملحوظة الأولى:

يقول الشيخ في الاستهلال ص٥: (اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده فأولهم نوح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً...).

أقول: هذا الكلام أوله صحيح لكن آخره فيه نظر؛ فإن الله أرسل نوحاً إلى قومه ليدعوهم لعبادة الله وترك الشرك؛ فقد كانوا يعبدون هذه الأصنام؛ وليس فعلهم مجرد (غلو في الصالحين)؛ فهذه اللفظة واسعة وتحتمل ـــ غالباً ـــ الخطأ والبدعة عند إطلاقها، وقد يصل الغلو إلى الكفر وهو النادر، فتقبيل اليد قد يعتبر من الغلو والتبرك بالصالحين قد يعتبر غلواً.... لكن هذا ونحوه يعد من الأخطاء أو البدع وليست شركاً، وإن تجوزنا في إطلاق الشرك على هذه الأفعال فهو شرك أصغر؛ وليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

والشيخ محمد رحمه الله قال الكلام السابق ليدلل أن دعوته هي امتداد لدعوة الرسل؛ الذين بعثوا أو كأنهم لم يبعثوا إلا إلى قوم يغلون في الصالحين فقط! أو أكبر أخطائهم الغلو في الصالحين! وهذا غير صحيح فقد كانوا يشركون بالله ويعبدون الأصنام وفي هذا كفاية،

لكن لأن خصوم الشيخ كانوا يردون عليه بأن هؤلاء الذين تقاتلهم وتكفرهم أناس مسلمون؛ وقد يوجد عند عوامهم أو علمائهم غلو في الصالحين لكن هذا لا يبرر لك تكفيرهم ولا قتالهم، لما كانت هذه حجة خصومه استحضر هذا المعنى وكرره كثيراً في كتبه.

[21] اعتمدت على نسخة صغيرة – طبع دار زمزم –بالرياض–أعده للطبع حمدي أبو السعود آل حمدان– الطبعة الأولى ١٤١٤هـ. هناك طبعات أخرى لكن الرسالة على شهرتها وتداولها صغيرة الحجم فمن وجد أي طبعة فيمكنه قراءتها في دقائق معدودة.

يجب أن يعرف القارئ الكريم أنني مع الشيخ رحمه الله في إنكار البدع والخرافات والأخطاء والممارسات التي يفعلها بعض المسلمين كالغلو في الصالحين وتعظيم القبور والتمسح بها وما يصاحب ذلك من دعاء أو ذبح أو استشفاع أو توسل و..الخ.

ولكن إنكاري لهذه البدع والخرافات وربما الشركيات في بعضها لا يجعلني أحكم على مرتكبها بالشرك والخروج من ملة الإسلام سواءً كان جاهلاً أو عالماً لأن الجاهل يمنعنا جهله من تكفيره، والعالم يمنعنا تأويله من تكفيره أيضاً.

نعم قد يقال فلان ضال، فلان مبتدع، فلان منحرف...فهذه التهمة خطرها يسير، إنما أن نقول: فلان كافر كفراً أكبر، يخرجه عن ملة الإسلام! فهذه عظيمة من العظائم يترتب عليها أحكام ومظالم؛ فلا يجوز أن نتهم أحداً بالكفر إلا بدليل ظاهر لنا فيه من الله برهان؛ خاصة وأن الشيخ يريد بإطلاق الكفر ذلك (الكفر الأكبر المخرج من الملة) !! —كما سيأتي-.

فهذه نقطة من نقاط الافتراق الكبرى، وهي نقطة عظيمة بلا شك، لكن لا يجوز لأحد أن يرتب على نقدي للتكفير تسويغاً لهؤلاء؛ الذين يعتقدون تلك الاعتقادات، أو يمارسون تلك الشناعات، عند قبور الأنبياء والصالحين والصحابة وغيرهم.

نعود ونقول: كان الشيخ يُواجه من خصومه، بأن من تقاتلهم وتكفرهم مسلمون يصلون ويصومون ويحجون فكان الرد منه على هذه الشبهة - وهي شبهة قوية- حاضرة في ذهن الشيخ عند تأليفه الكتب أو كتابته الرسائل؛ فبالغ في تأكيده من باب ردة الفعل، كما هو ظاهر في العبارة السابقة، وتكرر عرضه لمحاسن كفار قريش وأصحاب مسيلمة والمنافقين في عهد النبوة والغلاة الذين قيل أن الإمام علياً حرقهم، فتكرر من الشيخ تفضيلهم على المسلمين في عصره من علماء وعامة! حتى يبرهن أنه لم يقاتل إلا أناساً أقل فضلاً من كفار قريش ومن المنافقين ومن أصحاب مسيلمة! وهذا خطأ بلا شك، مع ما في مقارناته التي يكتبها بين هؤلاء وهؤلاء من أقيسة تهمل فوارق كبيرة، فلذلك تجد استهلاله السابق ينبئ عن قلقله من الشبهة القوية التي كان الخصوم يواجهونه بها.

وكان الأولى أن تكون عبارته كالتالي : (..أولهم نوح عليه السلام الذي أرسله الله إلى قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام، وعبادة الأصنام هذه كانت بداياتها غلو في الصالحين حتى وصل هذا الغلو —مع طول الأمد- للعبادة المحضة لغير الله، فأنا أدعوكم بتجنب الغلو في الصالحين، حتى لا تصلوا لما وصل إليه هؤلاء المغالون؛ فأنا أخشى أن يصل الأمر بكم أو بذريتكم إلى عبادة الصالحين كالبدوي وعبد القادر الجيلاني والشاذلي وغيرهم...).

أقول : لو كانت عبارة الشيخ هكذا أو نحوها لكان أصح وأفضل وأبعد عن الغلو المضاد أو اعتساف الاستدلالات، فتنبه لهذا.

الملحوظة الثانية:

وقوله أيضاً في استهلاله ص٥-٦: (وآخر الرسل محمد (صلى الله عليه وآله) وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله..)!.

أقول: هكذا يرسم الشيخ سامحه الله صورة جميلة وغير صحيحة عن كفار قريش ليبني على ذلك تكفير مسلمين (يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله..!!)، وهذا قياس مع الفارق الكبير كما سبق شرح ذلك وسيأتي.

ثم ذكر الشيخ الصفة التي يرى أنه من أجلها قاتل الرسول (صلى الله عليه وآله) الكفار وقاتل الشيخ المسلمين فقال: (لكنهم –يعني كفار قريش- يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله!) يعني فجاز قتالهم ويجوز لنا نحن قتالهم للسبب نفسه[٢٢]!.

سبحان الله، كفار قريش الذين لا يقولون (لا إله إلا الله) ولا يؤمنون بيوم القيامة ولا البعث ولا جنة ولا نار ولا يؤمنون بنبي ويعبدون الأصنام ويقتلون ويظلمون ويشربون الخمور ويزنون ويأكلون الربا ويرتكبون المحرمات مثلهم مثل المسلمين المصلين الصائمين الحاجين المزكين المتصدقين المجتنبين للمحرمات والفاعلين مكارم الأخلاق...

(أفنجعل المسلمين كالمجرمين، مالكم كيف تحكمون)؟!

لا، ليسوا سواء، المسلمون ليسوا كالكفار حتى وإن تأول علماؤهم وجهل عوامهم فالتأويل والجهل باب واسع لكن لا يساوى فيه من يقوم بأركان الإسلام مع من ينكرها.

---

[٢٢] البعض يقول: لو لم يكفرهم الشيخ محمد ويقاتلهم لما انتشر الإسلام الصحيح! ولبقينا في البدع والخرافات إلى زمننا هذا! ...وهذا افتراض غيبي، وقد يعارض هذا القول آخر فيقول: إن الإسلام انتشر في معظم أفريقيا ومعظم آسيا بغير سيف، فلو أن الشيخ راسل العلماء و الأعيان لربما اهتدوا للإيمان الصحيح بلا ضرر ولو تأخرت استجابتهم، وسلمت الدعوة من تهمتين كبيرتين وهما (التكفير والقتال) ظلتا عائقاً كبيراً من عوائق نجاحها إلى اليوم، بل قد يعرض بعضهم عن الإيمان النقي من الشبهات والبدع ويزين له الشيطان الدفاع عن الباطل، كل هذا من باب الخصومة للوهابية، لأنهم في رأيه كفروا مسلمين وقتلوا مسلمين بلا بغي ولا قطع طريق، وهكذا كل يفترض، فالافتراضات لا مكان لها عند مناقشة الأمر شرعاً، بمعنى أن حد السرقة هو القطع حتى لو افترض آخر أن (قتل السارق) سيكون أكثر تأثيراً في منع السرقة فهل يجوز قوله شرعا؟! بالطبع لا، ومن أضرار هذا أنه عندما يعلم الآخرون أن الفئة الفلانية يقتلون السارق فسيتخوفون من هذه الفئة ويعملون على عدائها، وهذا سر كثرة أعداء الوهابية وربما من أناس ليسوا بأروع ولا أتقى، لكن التكفير والقتال للمسلمين جعل لهم المشروعية في هذا العداء من وجهة نظر بعض العلماء على الأقل.

إذن فمعرفة حكم الشيء لا تدخل فيه التوقعات المستقبلية، وكذلك إذا كان الرجل مسلماً لا يجوز تكفيره وقتله ليهتدي غيره! (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)؟!.

ولا يتساوى من يؤمن بالنبي (صلى الله عليه وآله) نبياً ورسولاً ومن يكذبه ويظنه ساحراً أو كاهناً
ولا يتساوى من يتوسل بالنبي (صلى الله عليه وآله) ويتبرك بالصالحين – وإن أخطأ- مع من يرجم النبي (صلى الله عليه وآله) ويقتل الصالحين.
لا يتساوى من يؤمن باليوم الآخر والجنة والنار مع من يقول (إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا..).
لا يتساوى من قال: (لا إله إلا الله) مع من قال: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً).
لا، لا يتساوى من آمن ومن كفر
من صدق الرسل ومن كذبهم
من آمن بالبعث ومن كفر به..
لا يتساوى من طلب شفاعة الأنبياء والصالحين ممن يطلب شفاعة الجماد.
لا يتساوى ممن يطلب شفاعة الأنبياء وهو يعرف أنهم عبيد الله ممن يطلب شفاعة الأصنام ويجعلهم مشاركين لله في الألوهية...
لا يا شيخنا –رحمك الله- هناك فرق كبير بين هؤلاء وهؤلاء.
وأقول للأخوة المختلفين معي في هذه المسألة:
معظم علماء المسلمين في عهد الشيخ محمد وفي أيامنا هذه يقولون بجواز التبرك بالصالحين[٢٣] والتوسل بهم، فهل نحن اليوم نكفر جميع هؤلاء؟! أم نخطئهم فقط؟! بل ليت التخطئة بدليل وبرهان تسلم لنا.
إن قلتم: نحن نكفرهم ردَّ عليكم العلماء المعاصرون داخل المملكة وخارجها واتهموكم بالغلو في الدين وتكفير المسلمين!.
وإن قلتم: لا، نحن لا نكفرهم رددتم على الشيخ محمد بن عبد الوهاب تكفيره لهم لأنه كان يكفر علماء وعوام مثل علماء زماننا وعوامهم تماماً، ولن يخرج مقلدو الشيخ من هذه الإلزامات، وإن تكلفوا التفريق بين المسلمين (من العلماء والعوام) الذين كانوا في عهد الشيخ محمد، وبين المسلمين (من العلماء والعوام) اليوم؛ كان التفريق بين (كفار قريش) وبين هؤلاء (العلماء والعوام) أكثر وضوحاً وظهوراً!.
نعم، لأن كل ما أنكره الشيخ محمد رحمه الله على علماء عصره من التوسل بالصالحين أو التبرك بهم أو الاستشفاع بالنبي (صلى الله عليه وآله) أو زيارة القبور أو ترك الإنكار العلني على العوام والحكام.. الخ، ما زال إلى اليوم في علماء مصر والشام والحجاز واليمن والعراق والمغرب.. الخ فضلاً عن عوامهم.

[٢٣] بل نقل ابن حجر أن التبرك بالصالحين جائز عند جمهور علماء المسلمين (فتح الباري).

فأنتم إذا كفرتم هؤلاء لزمكم الرد على علمائنا الذين لا يكفروهم، فإذا بلغ علماءنا ردكم و لم يكفروهم لزمكم تكفير علمائنا؛ لأن من قواعد الدعوة السلفية في كتابات كثير من علماء الدعوة أن (من لم يكفر الكافر أو شك في كفره فهو كافر) !.

الملحوظة الثالثة:

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٧: (وإلا فهؤلاء المشركون –يعني كفار قريش- يشهدون أن الله هو الخالق وحده، لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها، كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره..) ثم سرد الآيات في ذلك.

أقول: هنا أيضاً رسم صورة زاهية للمشركين؛ و لم يذكر تكذيبهم بالبعث، ولا اعتقادهم أن الذي يهلكهم هو الدهر، ولا اعتقادهم أنهم يمطرون بنوء كذا وكذا، ولا أكلهم الربا، وقتلهم النفس، ودفنهم البنات ولا غير ذلك من المظالم والجرائم؛ ولا ذكر وصفهم للنبي صلى الله عليه وآله سلم بأقبح الأوصاف وتكذيبهم له، وتعذيبهم المسلمين وقتلهم المستضعفين...

فالشيخ محمد أخذ الآيات التي تدل على إيمانهم على وجه الجملة بأن الله هو الخالق الرازق..

مع أن هذه الاعترافات التي اعترف بها المشركون؛ قد أجاب عنها بعض العلماء؛ وذكروا أن المشركين إنما اعترفوا بها من باب (الإفحام والانقطاع)، وليس من باب الاقتناع، ولو كانوا صادقين في اعترافهم؛ لأتوا بلوازم هذا الاعتراف؛ فلذلك يأمر الله نبيه (صلى الله عليه وآله) أن يذكّرهم بلوازم هذا الاعتراف كما في قوله تعالى: (فقل: أفلا تتقون) (قل: أفلا تذكرون)؟!.... الخ.

فكأن الله عز وجل يوبخهم بأنهم كاذبون، وأنهم لا يؤمنون بالله عز وجل خالقاً و رازقاً، كما لا يستطيعون في الوقت نفسه أن يقولوا أن الأصنام هي التي خلقت السماوات والأرض!! فبقوا بين الاعتراف بالقول (انقطاعاً) وممارسة ما يخالفه واقعاً، وهذا الجواب الذي أجاب به بعض العلماء إن كان ضعيفاً فأضعف منه الزعم بأن كفار قريش أفضل من المسلمين في عصر الشيخ.

والحاصل: أنه لا يجوز للشيخ رحمه الله ولا لغيره أن يذكر فضائل الكفار ويهمل أخطاءهم، بينما يختار أخطاء المسلمين وينسى فضائلهم!.

ولا يجوز أن نختار الآيات التي قد نوهم بها العوام – ولو دون قصد- بأن فيها ثناء على الكفار، ونترك الآيات التي تذمهم وتبين كفرهم وظلمهم وتكذيبهم بالبعث... الخ.

لا يجوز أن نقوم بكل هذا حتى نسوغ به قتالنا للمسلمين الركع السجود؛ بزعمنا أنهم مثل الكفار تماماً الذين (يصلون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله..)؟! وأننا نقوم بعمل النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه! فهذا غير صحيح، والاعتراف بالخطأ خير من التمادي في الباطل، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن رضي المعصية كان كمن شهدها وشارك فيها أو قريب من ذلك، فلنتق الله ولا تخدعنا القوة والكثرة عن ديننا، ولا نغتر بكثرة المناصرين في الباطل، فإن هؤلاء لا يملكون جنة ولا ناراً، ولعل الشيخ الآن أحوج إلى استغفارنا من حاجته إلى نصرة الأخطاء التي وقع فيها، لكننا نغتر بالكثرة والغوغاء.

ثم على هذا المنهج العجيب في المقارنة بين (فضائل الكفار) و(أخطاء المسلمين)! يمكننا أن نقول:

كيف نقاتل اليهود؟! وهم يصدقون في القول، ويحترمون العدالة، ويوزعون الأموال بالسوية، ويؤمنون بالله، ويحترمون المقدسات، ويحترمون حرية الرأي،..الخ! .

ونترك قتال المسلمين الذين يظلمون؟! ويتعاملون بالربا؟ ويكذبون؟ ويخلفون المواعيد؟ ويخونون في الأمانات؟ والذين يجيزون التوسل و يتبركون بالصالحين؟ ... الخ!!.

وهكذا فإن ذكرنا محاسن موجودة عند اليهود؛ وتناسينا مساوئهم وعكسنا القضية في حق المسلمين؛ تصبح المسألة ملتبسة، وأصبح قتال المسلمين أولى من قتال اليهود المحتلين[٢٤]!!.

أما إن أخذتَ – أيها المسلم- جميع صفات هؤلاء وهؤلاء فستعرف أين تضع سيفك.

وكذلك الحال في كفار قريش أو كفار العرب عموماً، الذي بعث فيهم النبي (صلى الله عليه وآله)، إذا اقتصرت على بعض مكارم الأخلاق، وبعض الانقطاعات التي انقطعوا عندها، أو اعترفوا بها، خرجت بالصورة الجميلة عنهم التي أخرجها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

أما إن استعرضت جميع الآيات التي تتحدث عن الكفار؛ فستعرف أنهم يختلفون كثيراً عن فساق المسلمين وظلمتهم؛ فضلاً عن صالحيهم وعلمائهم.

الملحوظة الرابعة:

---

[٢٤] وقد رأينا نتيجة هذا –فيما يبدو- في بعض مواقع الإنترنت السلفية!! التي لا تأسف على ذهاب الشهداء من الفلسطينيين، وزعم هؤلاء الأخوة الغلاة أن الأمر سيان فالأمر: كفار يقتلون مبتدعة! فالمسألة طوب يكسر بعضه –حسب تعبيراتهم- وسبق لهؤلاء الغلاة أيضاً، أن ارتكزوا في ذم مجاهدي البوسنة والشيشان بمثل هذه الأقوال العجيبة التي وجدوا لها ما يسوغها في كتب العقائد القديمة والحديثة؛ ولو شئت أن أنقل تفضيلهم اليهود والنصارى على المسلمين –المختلفين في الرأي- لما انتهيت، وقد ذكرت شيئاً من هذا في كتاب (قراءة في كتب العقائد) فليراجعه من شاء .

ويقول الشيخ ص٩: (فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا – يقصد بأن الله هو الخالق الرازق-.. ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، عرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو (توحيد العبادة)، الذي يسميه المشركون! في زماننا (الاعتقاد) !!) اهـ.

أقول: سامح الله الشيخ محمد ففي هذا النص تكفير صريح لعلماء المسلمين في زمانه!.

ثم إن المسلمين لا يعبدون إلا الله بخلاف هؤلاء المشركين؛ الذين يسجدون للأصنام؛ وإذا لم يكن هذا واضحاً؛ فلن نستطيع التفريق بين أمور أخرى أشد التباساً، ومن تلك الأمور الملتبسة اتهام بعض العلماء للشيخ محمد وأصحابه بأنهم خوارج؛ فهم يرون أن خصائص الخوارج مجتمعة فيهم لأنهم:

- يكفرون المسلمين
- ويستبيحون دماءهم
- وأنهم في آخر الزمان
- ويخرجون من قبل المشرق[25]
- وينزلون الآيات التي نزلت في المشركين على المسلمين

---

[25] بعضهم يتأول أحاديث ذم المشرق بأن المراد بذلك (العراق) بل يتأولون أحاديث ذم نجد بأن المراد نجد العراق! وهذه التأويلات بعيدة لأسباب وكان يمكن تأويلها بحيث لا تنزل على الصالحين من أهل نجد كما أن مدح الشام واليمن لا تتناول الظلمة منهم، أما أسباب ضعف التأويل السابق فأهمها :

١ - إذا أطلقت نجد فات تعني إلا نجد المعروفة وسط الجزيرة، مثلما نطلق الحجاز على الحجاز المعروف على ساحل البحر الأحمر الذي يشمل مكة المكرمة، أما نجد لغوياً فتشمل كل ما ارتفع من الأرض، وكذا الحجاز لغوياً تشمل كل ما حجز بين بحر وجبل.

٢ - مما يدل على أن نجد غير العراق أن هناك ميقاتين ميقات أهل نجد وميقات أهل العراق.

٣ - ومن الدلائل على ضعف هذا التأويل أن شرق المدينة هو نجد الحالية وليس العراق ومن شاء أن يتأكد فليفتح خريطة الجزيرة العربية ويستعين بمدار السرطان –الذي لم يضعه الوهابية ولا مخالفوهم- فهو يمر جنوب المدينة المنورة وجنوب الرياض، فنجد لا العراق هي شرق المدينة، فإذا أشار النبي صلى الله عليه وآله بيده نحو المشرق وقال (هناك الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان) فشرق المدينة هو وسط نجد المعروفة وليس وسط العراق، وهذا لا يعني ذم كل نجدي كما أن مدح المدينة لا يعني الثناء على كل مدني، وإنما العبرة بالأغلب أو بفترة دون فترة أو أن الذم مخصوص بظهور الردة ...الخ فهذا التخريج خير من ذلك التأويل المتكلف الذي ننكره على المعتزلة والأشاعرة عندما يتكلمون في الصفات.

٤ - ظهور العلم بالعراق دون نجد فمعظم أهل الحديث وأئمة الفقه واللغة عراقيون.

وهذا يؤكد أن قرن الشيطان خرج بوسط نجد ولعل المراد بذلك مسيلمة الكذاب، فلماذا كل هذا الحماس في رد دلالة الحديث، ألا يخشى المؤولون أن يكون هذا الإصرار في الرد والتأويل من (تلك الزلازل والفتن) ومن (تزيين الشيطان)؟! ثم سبق أن قلنا أن ذم منطقة ومدح أخرى إنما هي بخصوص سبب أو حسب الأغلب أو نحو ذلك، فلو سلمنا بأن نجد المذمومة هي العراق أليس في العراق فضلاء وصالحون في الماضي والحاضر؟ ألم يكن في العراق كثير من الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين فمن الصحابة بالعراق علي بن أبي طالب وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وعمران بن حصين وسعد بن أبي وقاص وأمثالهم وبها ظهر سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي والحسن البصري وقتادة وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل والخطيب البغدادي ونحوهم بينما لم يطأ الصحابة والتابعون وسط نجد إلا مقاتلين لأهل الردة - باستثناء قلائل كثمامة بن أثال - ولم يظهر بها من أهل العلم المشهورين غير يحي بن أبي كثير الطائي من شيوخ معمر وطبقته وهو مع هذا غامض إلا عند الخاصة، ثم استمرت فترات كبيرة من الجهل، ولعل أصلح أحوالها هي تلك المرحلة التي سبقت الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد كان فيها عدد كبير من القضاة والعلماء ومع ذلك فتلك الفترة ذمها الوهابية أشد الذم وكفروا عامتها وخاصتها، فإذا كانت هذه حالتها فهي أولى بالحديث من العراق التي خرج منها نصف علماء الأمة ومن شك فليعمل استبياناً بعدد العراقيين من العلماء فليجعلهم في كفة وبقية الأمة في كفة ولينظر النتيجة ثم ليعيد قراءة الحديث.

–وأنهم يقرأون القرآن بما فيه من أوامر ونواهي فلا يتجاوز حناجرهم فلذلك لم تمنعهم هذه القراءة من تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وظلمهم مع النهي عن ذلك في النصوص القرآنية ومع نهي القرآن عن الظلم ولبس الحق بالباطل!

– وأن سيماهم التحليق و... الخ.

فإذا كانت التسوية بين الخوارج والوهابية ظلماً – مع وجود هذا التشابه عند المخالفين لهم– فالتسوية بين كفار قريش والمسلمين أكثر ظلماً، وأبعد عن الحق، وإن كان الشيخ معذوراً في تفضيل كفار قريش على علماء زمانه؛ فالذي يجعل علماء الدعوة من الخوارج يكون أولى بالعذر؛ لأن الخوارج – مع هذا– مسلمون على الراجح، و لم يكفرهم الصحابة بينما كفار قريش لا يشك أحد في كفرهم.

الملحوظة الخامسة:

قوله ص٩: –في وصف محاسن كفار قريش وغيرهم–: (كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً! ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم إلى الله ليستغفروا له، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات! أو نبياً مثل عيسى وعرفت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قاتلهم على هذا الشرك! ودعاهم إلى إخلاص العبادة... فقاتلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليكون الدعاء كله لله والنذر كله والذبح كله لله والاستغاثة كلها بالله وجميع العبادات لله...الخ) أهـ.

أقول: الكفار لم يكونوا يدعون الله ليلاً ونهاراً! وإنما كانوا يذكرون هبل واللات والعزى ومناة، ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً لما نهى الله نبيه عن (عبادة الذي يدعون) كما في قوله تعالى: (قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله..)[٢٦]، وقال تعالى واصفاً حال الكفار ساعة الموت: (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا: أين ما كنتم تدعون من دون الله..)[٢٧]؟! وقال (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم..)[٢٨]، وقال عن الكفار: (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين ندعو من دونك..)[٢٩] وغير ذلك كثير من الآيات التي لم أشأ تتبعها، وهي تخبر عنهم بخلاف ما أخبر الشيخ، بأن أكثر دعاؤهم هو للأصنام وليس كما يقول الشيخ من أنهم (يدعون الله ليلاً ونهاراً)! إضافة إلى أنهم لم يكونوا يدعون الله بإخلاص إلا في الشدائد.

[٢٦] سورة الأنعام آية ٥٦.

[٢٧] سورة الأعراف آية ٣٧.

[٢٨] سورة الأعراف آية ١٩٤.

[٢٩] سورة النحل آية ٨٦.

ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً -كما وصفهم الشيخ- لغبطهم عليه زهاد الصحابة! فهذه صورة من الصور الكثيرة الجميلة التي يمدح فيها الشيخ كفار قريش، ليس حباً فيهم؛ ولكن ليقارن بينهم وبين مسلمي عصره؛ ثم ليبني على تلك المقارنة الناقصة تفضيلهم على المسلمين، ثم البناء على هذا كله تكفير المسلمين واستحلال قتالهم[٣٠].

والذي يجب أن يصحح هنا أن النبي (صلى الله عليه وآله) قاتل الكفار، لأمور كثيرة أهمها الشرك الأكبر بالله وإخراج المسلمين من ديارهم وإنكارهم النبوة وارتكابهم المظالم ... الخ.

فتعليل الشيخ محمد ناقص وهذا النقص في التعليل أدى إلى قتال مسلمين (يصلون و يحجون و يذكرون الله)!.

ثم لم يرد في القرآن الكريم أن علة قتال النبي (صلى الله عليه وآله) للكفار حتى يكون الذبح كله لله والنذر كله لله والاستغاثة كلها بالله.. فقط .

وإنما الأسباب الكبرى الرئيسة هي : الشرك الأكبر وإنكار النبوة وإخراج المسلمين من ديارهم..الخ.

---

[٣٠] والشيخ محمد رحمه الله أثنى على الكفار في مواضع كثيرة منها قوله عن كفار قريش (كانوا يعرفون الله ويخافونه ويرجونه)! الدرر السنية(١٤٦/١)، وهذا لا يصح إطلاقه، ومن ذلك قوله: (كانوا –يعني كفار قريش- يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله عز وجل!!) (الدرر السنية ١١٨/٢)، فهذا الكلام فيه نظر كبير.

ومن ثنائه على المنافقين لهذا الغرض قوله: (كان المنافقون على عصر رسول الله صلى الله عليه وآله يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ويصلون مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) الصلوات الخمس ويحجون معه..) انظر الدرر السنية (٨٦/٢).

قلت: كل الكلام السابق يمكن قبوله إلا قوله (في سبيل الله) فالمنافقون لا يفعلون هذا لأجل الله وإنما لأهداف أخرى.

وستأتي نماذج من وصف كفار قريش بمثل هذا وتفضيلهم على مسلمي عصره.

كما مدح الشيخ –سامحه الله – المرتدين كمسيلمة وأصحابه للغرض نفسه، فقال في الدرر السنية(٤٤/٢): (مسيلمة يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويصلي ويصوم!!)، قلت: وهذا غير صحيح ، فلو شهد أن محمد رسول الله لما ادعى النبوة وقد كذبه النبي صلى الله عليه وآله، إضافة إلى أن مسيلمة كانت له شعائر خاصة غير صلاتنا وصيامنا.

وقال عن بني حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب في الدرر السنية (٩/ ٣٨٧): هم عند الناس من أقبح أهل الردة وأعظمهم كفراً وهم مع هذا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويؤذنون ويصلون وأكثرهم يظنون أن النبي صلى الله عليه وآله أمرهم بذلك)!اهـ.

وقال عن أصحاب مسيلمة أيضاً في الدرر السنية(٣٨٣/٩): (شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لكن صدقوا لمسيلمة أن النبي أشركه في النبوة، وذلك أنه أقام شهوداً شهدوا معه بذلك، وفيهم رجل من الصحابة معروف بالعلم والعبادة، يقال له الرجال، فصدقوه لما عرفوا فيه من العلم والعبادة)!اهـ

أقول: إذن فبنو حنيفة ضحية نظرية عدالة الصحابة!، التي نكاد نكفّر من لم يؤمن بتحققها في كل فرد منهم، وهذه دعوة للإيمان بالأمور المتناقضة، فمن اتبع مسيلمة كفر، ومن رد شهادة الصحابي كفر! وكذّب بالآيات في تعديلهم في زعم الغلاة! فماذا تريدون من أصحاب مسيلمة أن يفعلوا؟ هم –حسب وصف الشيخ–من غلاة السلفية في قضية عدالة الصحابة! فهل تريدون منهم أن يكفروا بنظرية عدالة الصحابة أم يؤمنوا بنبوة مسيلمة؟!.

وقد أثنى الشيخ على المرتدين الذين أحرقهم علي فقال عنهم(٤٤/٢): كانوا يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله !!اهـ قلت: وهذا غير صحيح، فالقوم كانوا مرتدين، وبعض غلاتنا يقولون إنهم ادعوا الإلهية في علي، فإن كان هذا صحيحاً فهو أبلغ في الرد على الشيخ بأن هؤلاء لا يشهدون الشهادتين.

فالشيخ يذكر أسباباً صغيرة مشتبهة لم تذكر في النصوص وليست متحققة ولا يُدرى أهـي سـبب في القتال أم لا؟! ويترك الأسباب الكبرى المتفق عليها والمنصوص عليها في القرآن الكريم بأنها هي سـبب قتال النبي (صلى الله عليه وآله) للكفار.

الملحوظة السابعة:

ثم يواصل ص١١ بقوله: (لم يريدوا أن الله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد!) أهـ.

أقول: هذا أيضاً فيه تكفير صريح للمسلمين في زمانه فالسيد يطلقها كثير من الناس في القرون المتـأخرة إلى اليوم على أهل البيت، وإطلاقها ليس كفراً ولا حراماً، نعم قد يكون مكروهاً، والحديث الـوارد في النهي فيه نزاع قوي، وإن كان أهل نجد أو الحجاز يطلقون السيد على الذي يتبركون به ويطلبون منـه الدعاء فهذه بدعة قد تكون كبرى وقد تكون صغرى بحسب الحالة لكنها ليست كفراً، ثم ليس صحيحاً على إطلاقه ما ذكره الشيخ من أن المشركين كلهم كانوا يعلمون أن الله هو الخالق الـرازق.. فهـذا متحقق في بعض الكفار لا كلهم؛ فالدهريون مثلاً لا يؤمنون بهذا بنص القرآن الكريم.

الملحوظة الثامنة:

قول الشيخ ص١١: (فأتاهم النبي (صلى الله عليه وآله) يدعوهم إلى كلمة التوحيـد (لا إلـه إلا الله) والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ...)أهـ.

أقول: لكن مجرد التلفظ بها يعصمهم من التكفير والقتل بينما من يقولها من معاصري الشيخ لا تعصمهم من تكفير ولا قتال ، فالمنافقون في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) يقولون الشهادتين بألسنتهم، وكـان النبي صلى الله عليه وآله يعرف ذلك في كثير منهم؛ ومع ذلك عصمت دماءهم وأموالهم، أما المعاصرون للشيخ من المسلمين فلم تعصم دماءهم و أموالهم لا الشهادتان ولا أركان الإسلام.. مـع صـدقهم في ذلك.

الملحوظة التاسعة:

ويقول ص١٢: (فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفـه جهـال الكفرة، بل يظن (يعني المدعي للإسلام) أن ذلك (يعني تفسيرها) هو التلفظ بحروفها من غـير اعتقـاد القلب لشيء من المعاني)؟! أهـ.

أقول: هذا غير صحيح؛ فليس هناك مسلم واحد يقول إن معنى (لا إله لا الله) هو التلفظ بها دون اعتقاد القلب لذلك.

والمسلمون جميعهم علماؤهم وعوامهم، يمقتون في المسلم أن يقول ما لا يعتقد، بل حتى العوام يسمون هذا (نفاقاً)، وهم يذمون من يخالف قوله فعله، بل حتى الكفار يذمون من يخالف قوله فعله..

فكيف يظن الشيخ هذا الكلام -سامحه الله-: أن المسلمين في عصره يقولون بجواز أن نشهد الشهادتين بلا اعتقاد لمعانيها، فنقول (لا إله إلا الله) ونعبد غيره، (ونقول: محمد رسول الله) ونعتقد كذبه..؟!.

فالمسلمون في عهد الشيخ مثل المسلمين اليوم في البلاد الإسلامية، فهل يجوز لنا أن نقول اليوم: إنهم يقولون: (نقول: الشهادتين باللفظ فقط وسننجو حتى وإن اعتقدنا خلافها)؟!.

نعم لهم شبه وأدلة يستجيزون بها التوسل والاستشفاع والاستغاثة ونحو ذلك، وهذا خطأ بلا شك عندنا في ذلك، لكن هم عندهم شك، بل هم لا يرون هذا متناقضاً مع الشهادتين، ولهم في ذلك مؤلفات وأدلة وشبهات وتأويلات، مثل تأويلاتنا وشبهاتنا؛ في تكفير المسلمين ومدح كفار قريش وتفضيلهم على المسلمين!! وهم يصرون على عقائدهم مثل إصرارنا؛ ويتهمون ناصحيهم بالعمل لصالح الوهابية، مثلما نتهم ناصحينا بالقبورية والعمل لصالح الصوفية والشيعة، وستبقى نظرية المؤامرة والتشكيك في نيات الآخرين حاضرة في حواراتنا، ما دام الغلو والغلو المضاد لهما حضورهما في هذه الحوارات ولن يقطع هذا إلا المباهلة.

ثم كيف يجعلهم ممن (يدعي الإسلام)؟! يعني وليسوا مسلمين!! وهذا تكفير آخر فتنبه!!

الملحوظة العاشرة:

ثم يقول ص١٣: (والحاذق منهم -يعني ممن يدعي الإسلام من علماء المسلمين!- يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله)! ثم يتبع هذا بقاصمة وهي (فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله)؟!.

أقول: سبق الجواب بأن علماء المسلمين في زمانه لا يفسرون الشهادتين كما ذكر هنا -فيما أعلم- نعم لهم تأويل بأن التبرك والتوسل لا يناقضها وهذا شيء آخر.

لكن أن يأتي عالم ويزعم أن (لا إله إلا الله) ليس معناها إلا (لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله) مع جواز صرف العبادة لغيره فلا أظن عالماً عاقلاً يقول هذا، ومن زعم هذا فعليه الدليل والبرهان.

الملحوظة الحادية عشرة:

ذكر ص١٥،١٦: أن أعداء التوحيد قد يكون عندهم علم وحجج وفصاحة ... وهذا إقرار منه بأنه يتحدث عن معارضيه من علماء عصره في نجد والحجاز والشام[٣١].. وأن معهم علماً وفصاحة وقبل هذا ينفي أنهم لا يعرفون معنى لا إله إلا الله!!.

الملحوظة الثانية عشرة:

ويقول ص١٧: (والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين)!!

أقول: هذا تكفير واضح لعدد كبير من العلماء ويستحيل في العادة أن يوجد مثل هذا العدد الكبير (ألف!!) من العلماء الكفار في بلد واحد؛ فاعرف هذا فإنه مهم وهو من أدلة من يتهم الشيخ بتكفير من لم يتبعه!! والشيخ وأتباعه يقولون : معاذ الله أن نكفر المسلمين لكن هذا المسلم عند الشيخ له شروط طويلة يختلف فيها مع العلماء قبل العوام ولا تكاد تنطبق إلا على من يقلده ويتبعه – كما سيأتي مدعماً في الأمثلة القادمة- فالخلاف يكاد يكون لفظياً فقط!!.

الملحوظة الثالثة عشرة:

ويقول ص١٩: (وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا...)!!.أهـ.

أقول: يا ترى من هم هؤلاء المشركون الذين يغوصون في أدلة الكتاب والسنة مع فصاحة وعلم وحجج....؟! أليسوا علماء مختلفين معه في دعوى كفر مخالفيه من علماء وعوام؟ لا ريب أن هذا فيه تكفير صريح للمخالفين له ممن نسميهم (خصوم الدعوة) أو (أعداء التوحيد) أو (أعداء الإسلام)!! وهذا ظلم، لأن الشيخ كان يرد على مسلمين ولم يكن يرد على كفار ولا مشركين، وهذه رسائله وكتبه ليس فيها تسمية لمشرك ولا كافر وإنما فيها تسمية لعلماء المسلمين في عصره كابن فيروز، ومربد التميمي، وابني سحيم سليمان وعبد الله، وعبد الله بن عبد اللطيف، ومحمد بن سليمان المدني، وعبد الله بن داود الزبيري، والحداد الحضرمي، وسليمان بن عبد الوهاب، وابن عفالق، والقاضي طالب الحميضي، وأحمد بن يحي، وصالح بن عبد الله، وابن مطلق، وغيرهم من العلماء الذين يطلق عليهم (المشركون في زماننا)!! و قد استمر علماء الدعوة بعده في تكفير أو تبديع يكاد يصل للتكفير لعدد آخر من علماء المسلمين –

---

[٣١] وقد كرر غير مرة بأن خلافه مع الصفوة من العلماء والقضاء لا مع العوام.

أخطأوا و لم يكفروا- في عهد الدولة السعودية الثانية كابن سلوم وعثمان بن سند وابن منصور وابـــن حميد وأحمد بن دحلان المكي وداود بن جرجيس وغيرهم.

وفي القرن الرابع عشر الهجري استمر تكفيرنا وتبديعنا لعلماء معاصرين – أخطأوا كمـــا نخطـــيء و لم يكفروا- كالكوثري، والدجوي، وشلتوت، وأبي زهرة، والغزالي، والقرضاوي، والطنطاوي، والبوطي، والغماري، والكبيسي، وغيرهم، ولو نستطيع لقلنا عنهم (المشركون في زماننا) وقد قيل!!

ومن المؤسف أنه لا يوقف تكفيرنا وتبديعنا للآخرين إلا السلطة أو العجز، ولولاهما لما أبقينا أحـــداً إلا وصمناه بكفر أو بدعة مكفرة! مع أن الواجب أن يكون هذا التورع عن التكفير والتبديع من العلماء لا من الحكام، وفي كل الأوقات لا وقت العجز، لأن العلماء يعرفون عظمة حق المسلم وتحريم دمه ومالـــه وعرضه، فهي آخر ما أوصى به النبي (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع، فهذه الخطبة التي بثها النبي (صلى الله عليه وآله) في مائة ألف من المسلمين؛ يحفظها بألفاظها العلمـــاء لا الحكـــام، فكـــان الأولى والأجدر هم حفظ ورعاية هذه الوصية النبوية الكبرى.

الملحوظة الرابعة عشرة:

قوله ص١٢ –مخاطباً أحد العلماء المختلفين معه-: (وما ذكرتَ لي أيها المشرك!! من القرآن أو كـــلام النبي (صلى الله عليه وسلم) لا أعرف معناه...)!!.

أقول: يا ترى من هذا المشرك الذي يستدل على الشيخ بالقرآن والسنة؟! أي مشرك لطيف هذا؟! ثم هذا تكفير للمعين فتنبه.

الملحوظة الخامسة عشرة:

ويقول ص٢٣: (فإن أعداء الله (هكذا!) لهم اعترافات كثيرة يصدون بها الناس منها قولهم نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عليه السلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله بهم فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله مقـــرون بمـــا ذكرت ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً وإنما أرادوا الجاه والشفاعة...) أهــ.

أقول: هذا يدل على أن الشيخ يرى تكفير هؤلاء الذين يقولون القول السابق، وأنه يعتبرهم مشـــركين شركاً أكبر؛ كشرك كفار قريش وهذا عين التكفير، وأكبر أحوالهم أن يكونوا مبتدعين فقط، والمبتـــدع

لا يجوز تكفيره فضلاً عن قتله، وكل المبتدعين المقتولين عبر التاريخ إنما كانوا مقتولين لظروف سياسية بحتة؛ يدركها من درس التاريخ[٣٢].

الملحوظة السادسة عشرة:

قوله ص٢٤: (فإنه إذا أقر –يعني المخالف للشيخ– أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله!! وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ولكن أرادوا أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره (من صلاتهم وصلاحهم بخلاف الكفار) فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين ومنهم من يدعو الأولياء...) أهـ.

أقول: الكفار لا يؤمنون ببعض الربوبية، ولا بالألوهية كلها، وهم يعبدون الأصنام ذاتها، ولم يقتصروا على الطلب (طلب الشفاعة فقط)، بل قولهم ببعض الربوبية قالوه انقطاعاً لا اعتقاداً، أو أنه قول بعضهم فقط، لأنه ثبت عن بعضهم على الأقل أنهم يقولون بالدهر ولا يؤمنون بالبعث.

أما المسلمون فإنهم لا يسجدون لأحد غير الله، ولا يعبدون إلا الله، وقد يجهل بعضهم أو يتأول بأن الصالحين من الأحياء والأموات، يجوز التوسل بهم وطلب شفاعتهم عند الله، وأنهم إن دعوا لهم فإنهم ينفعونهم بإذن الله لا استقلالاً عن إرادة الله[٣٣] وهذا يختلف كثيراً عن هؤلاء الكفار.

والحاصل أن التشابه بين الكفار والمسلمين المعاصرين –إن سلمنا به– أبعد بكثير من التشابه بين الخوارج واتباع الشيخ، فالتشابه بينهم من التكفير والتحليق واستحلال الدماء... الخ أكبر وأظهر.

وحجة الخوارج على علي رضي الله عنه هي قريبة من حجة الوهابية على مخالفيهم، فالخوارج قالوا بوجوب صرف الحكم كله لله (لا حكم إلا لله)!! وهي كلمة حق أريد بها باطل مثلما ظن الوهابية من قولهم (لا ذبح إلا لله ولا توسل إلا بالله ولا استغاثة إلا بالله.. الخ). فهذا حق من حيث الأصل لكن قد تكون هناك صور في التطبيق تخرج عن هذا الإطلاق؛ وأقل الأحوال أن تكون هناك ممارسات خاطئة للإطلاقات السابقة، يفعلها البعض بتأويل أو جهل، فهذه الممارسة لا يكفر صاحبها إلا بعد ارتفاع موانع التكفير وقيام الحجة.

---

٣٢ توسعت في هذا في كتاب العقائد فلا يظن ظان أن خالد القسري والحجاج وأمثالهم ممن كانوا يحرقون الكعبة ويقتلون الصالحين أنهم قتلوا الناس حرصاً على الدين!!.

٣٣ حتى غلاة الصوفية الذين يجوزون أن الولي يحيي الموتى –مع بطلان هذا القول– لا يقولون بأنه الولي يفعل هذا استقلالاً عن الله!! وكذا غلاة الشيعة الذين يقولون بالولاية التكوينية للأئمة وأن ذرات الكون تخضع لهم لا يقولون بأن هذا يحدث استقلالاً عن إرادة الله، وإنما يزعم الغلاة من الصوفية والشيعة بأن الله منح الأولياء والأئمة القدرة على هذا بإذن الله مثلما منح بعض الأنبياء كعيسى عليه السلام القدرة على الخلق من الطين كهيئة الطير وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لكن بإذن الله ومثلما منح بعض الأولياء كصاحب سليمان القدرة أن يأتي بعرش بلقيس في لحظة كل هذا بإذن الله، فهذه الأقوال مع بطلانها لا يعيدونها إلا لقدرة الله وإذنه وتقديره ومنحه بعض الخصائص لعباده من أنبياء وأولياء ولهم في ذلك أقوال ومؤلفات واستدلالات عجيبة تركوا فيها قطعي الأدلة لمظنونها مع تعسف في الاستدلال مثل عملنا في التكفير مع فارق في نسبة الخطأ.

الملحوظة السابعة عشرة:

قال ص٢٦: (فإن قال –يعني المخالف للشيخ- الكفار يريدون منهم –هكذا- (يعني يريدون من الأصنام) وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم فالجواب: أن هذا قول الكفار سواءً بسواء!!)! اهـ.

أقول: الذي يقول الكلام السابق لا يكفر؛ لأنه متأول أو جاهل، وكونه يتفق مع الكفار في جزئية يسيرة لا يعني مساواته بالكفار أو أن لهما الحكم نفسه[٣٤].

بمعنى لو أقسم أحد بغير الله، فقد شارك الكفار في جزئية يسيرة، لكن لا يكفر بسببها، فالشيخ غفل عن مثل هذه الدقائق؛ فوقع في تكفير المسلمين، فتركيز الشيخ على آية (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)، التي هي -فيما يظهر- حكاية عن انقطاعهم واعتذارهم الذي لا يصاحبه صدق نية، وإغفاله لبقية الآيات في وصف الكفار وعقائدهم، فيه نقص في استيفاء مواطن اختلاف الكفار عن المسلمين.

ثم طلب الشفاعة من النبي (صلى الله عليه وآله) والصالحين مع اعتقاد أنهم جميعاً عبيد الله، وأنهم لا يعطون شيئاً إلا بإذن الله، هذا كله ليس كالسجود للأصنام، وإن كان خطأً أو بدعة صغرى أو كبرى، ولذلك يستطيع مخالف الشيخ أن يلزمه تكفير شارب الخمر، لأنه لا يشربها إلا وهو يحبها والمحبة عبادة، وصرف شيء من المحبة لغير الله شرك وهكذا..

وإن قلتم: نحن لا نعترض على محبة الصالحين وإنما نعترض على عبادتهم.

قيل لكم: هؤلاء لا يعبدونهم وأنتم تسمون توسلهم بالصالحين أو تبركهم بهم عبادة وهم لا يقرون لكم بأن هذه عبادة ولهم أدلة في ذلك –على ضعفها- لكنها تمنع من تكفيرهم فهذا هو التأويل الذي ذكر العلماء أنه يمنع من التكفير.

فإن قلتم: التوسل عبادة.

قالوا: ما دليلكم على ذلك؟

فإن قلتم: لم يفعله السلف؟

قالوا: قد فعله عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب.

فإن قلتم: عمر توسل بالحي لا بالميت.

قالوا: وهل تجوز عبادة الحي؟

---

[٣٤] علماً بأننا نأخذ أقوال هؤلاء من الشيخ نفسه وهو خصم لهم، فمؤلفات العلماء الذين ردوا عليه لا يقرون بمثل هذه النقولات لكننا نناقش تلك الأقوال على افتراض صحتها إلى قائليها.

إن قلتم: لا؟

قالوا: فلماذا تسمون (التوسل) عبادة؟! هذا دليل على أنكم تسمون الأشياء بغير اسمها.

فإن قلتم: التوسل بالميت عبادة بخلاف الحي.

قالوا لكم: ما دليلكم على التفريق؟

فإن قلتم: دليلنا فعل الصحابة فإنهم فعلوا هذا و لم يفعلوا ذلك.

قالوا لكم: -على التسليم لكم- فإنهم قد يتركون أمراً ولا يكون محرماً فضلاً عن كونه كفراً مخرجاً من الملة؟! ثم عندنا أدلة في توسل بعضهم بالنبي (صلى الله عليه وآله) ميتاً، كما في حديث عثمان بن حنيف المشهور.

فإن قلتم: هذا عندنا ضعيف.

قالوا لكم: وأكثر الأحاديث التي تستدلون بها هي عندنا ضعيفة، بل هي ضعيفة عند التحقيق، مثل حديث تقريب الذباب وحديث شرك آدم وحواء، وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة الموجودة في كتبكم.

فإن قلتم: الأولى تجنب التوسل للشبهة والاختلاف.

قالوا لكم: أولى من ذلك تجنب تكفير المسلمين وتفضيل كفار قريش عليهم لأن الأصل المتيقن هو الإسلام لا الشرك، فلا نترك المتيقن للمظنون.

فإن قلتم: التشديد لا بد منه ليهتدي المسلمون لدين الله ويحذروا تلك البدع والخرافات.

قالوا لكم: والرد عليكم لا بد منه ليحذر طلاب العلم من الوقوع في تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم...

فإن قلتم: تعالوا للتحاكم لكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) وترك التقليد.

قالوا لكم: مرحباً وأهلاً فقد قلنا لكم هذا من زمن طويل وأنتم ترفضون، و تستعدون علينا السلطات، و لم تنتهوا عن تكفير الأبرياء حتى كفر بعضكم بعضاً، و تظالمتم فعرفتم عندئذ مقدار ظلمكم لنا في الماضي، و تعرفتم على (بعض) ما كنا نستدل به في براءتنا من الكفر، لأنكم ذكرتم أدلة في الرد على من يكفركم كنا نكررها في الرد على تكفيركم لنا، فاعتدالكم في الأزمنة الأخيرة للأسف كان لمصلحة أنفسكم و حمايتها لا حماية جانب الشريعة.

الملحوظة الثامنة عشرة:

قوله ص٣٣: (ولا يشفع –النبي صلى الله عليه وآله– في أحد إلا من بعد أن يأذنه الله فيه كما قال عـز وجل (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسـلام دينا فلن يقبل منه)!!... ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد).أهـ .

أقول: على هذا يمكن أن يقال ما قاله بعض معارضي الشيخ من أنه بناء على هذا الكلام فلن يدخل الجنة في زمن الشيخ إلا أهل العيينة والدرعية! ففي كلام الشيخ السابق تكفير ضمني لكل من يرى التوسـل بالصالحين أو طلب الشفاعة منهم، وهم جمهور من علماء المسلمين وعامتهم في ذلك الوقت وفي زماننا أيضاً.

وهنا أتذكر صدق كلمة قالها أحد معارضي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله عندما قـال مـا معناه: (النبي (صلى الله عليه وآله) أخبر أنه سيأتي مفاخراً بقومه يوم القيامة وعلى كلام هذا –يقصـد الشيخ محمد– سيأتي نبينا (صلى الله عليه وآله) وليس معه إلا نفر من أهل العيينة)!! أهـ ذكر هذا عنه الدكتور عبد العزيز بن عبد اللطيف في كتابه (دعاوى المناوئين).

والدكتور عبد العزيز وفقه الله رد على الكلام السابق ولم يتنبه للوازم كلام الشيخ محمد هنا عندما حرَّم الشفاعة على غير أتباعه الذين سماهم (الموحدين) بحجة أن غير هؤلاء ليسوا مسلمين (ومن يبتـغ غـير الإسلام دينا فلن يقبل منه)! فالمسلمون في العالم الإسلامي –سوى أتباع الشيخ بنجـد وملحقاتهـا– يكونون عند الشيخ قد ابتغوا غير دين الإسلام!.

وهذا أمر في غاية التكفير والخطورة لأن العالم الإسلامي فيه هذه البدع والخرافات من زمن طويل، وفيه العلماء المتأولون والعوام الجهلة ولكن لا يجوز لنا أن نقول بكفرهم، فالذين أدركهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هم المسلمون أنفسهم الذين تباكينا عليهم من هجمات الصليبيين في الشـام، وغـزو المغول في المشرق، واضطهاد الفرنجة في الأندلس... أما على كلام الشيخ رحمه الله فلا داعي للبكاء لأن هؤلاء مشركون متبعون غير دين الإسلام فلماذا البكاء؟! وهذا التكفير لم يكن يوجد عند الشيخ ابـن تيمية –مع أخطاء وقع فيها– فقد كان ابن تيمية في زمن يشبه زمن الشيخ محمد من انتشار الجهل عنـد العوام وضعف العلماء في دعوة الناس إلى التوحيد الصافي؛ لكن ضعف هؤلاء وجهل هؤلاء لا يبيح لنـا إلا وصفهم بالتقصير والجهل والإثم ويكفي ، أما أن نطلق عليهم الكفر المخرج من الملة؛ فهذا شيء آخر تماماً، فالتكفير أمره عظيم وإخراج هذه الشعوب من دين الله أمره أشد وأعظم.

بل إن بقايا الخوارج أنفسهم في الأزمنة المتأخرة لا أظن أنهم كفروا العوام أو استحلوا دماءهم، كما فعل الشيخ رحمه الله وأتباعه –بفتاوى منه– في العلماء والعوام.

فسامحه الله وغفر له فقد زرع خيراً كثيراً لكن شابه بشر مستطير بدافع الحماس، فأما الخير فقضاؤه على كثير من البدع والخرافات لكنه بالغ حتى وصل للغلو المذموم.

وبعض الأخوة يقول: كيف ننقد منهج الشيخ وبفضله —بعد فضل الله- كان هذا الوطن الإسلامي الكبير؟!.

نقول: هذا لا شك من المحاسن الكبرى للشيخ، وقد ذكرناها في المقدمة، ولن ينساها له المخلصون من الناس، فربما لولا دعوته وقتاله لسكان الجزيرة[٣٥] لما توحدوا من الخليج إلى البحر الأحمر، ومن جنوب الشام إلى اليمن، لكن (جمال النتيجة لا يعني صحة المقدمات)، فالنتائج قد تكون جميلة مع بنائها على مقدمات ناقصة —وهذا يعرفه أهل المنطق وغيرهم-.

فثورة الخميني مثلاً كانت نتيجتها جميلة من إزالة العلمانية التغريبية من دولة إيران، لكن هذه النتيجة لا يعني عدم نقد الخميني ومغالاته، وكذلك لو قام أحد الخوارج وكوَّن دولة فإن حسن النتيجة لا يعني صحة المنطلقات.

ولنبين هذا بمثال أوضح فنقول: لو قام أحد الحكام بقتل السارق بدلاً من قطع يده، فلا بد أن تقل السرقة وعندئذٍ يأتي المثني على هذا الحاكم ليصف النتيجة الجميلة من قلة السرقة أو انعدامها...!! ولكن فعل الحاكم هنا كان خلاف النصوص الشرعية، ولا بد يوما ما أن يكون لفعله هذا آثار سلبية، لأن شريعة الله كاملة وليس فيها حكم شرعي إلا وهو وسط بين تطرفين.

وكذلك لو قام أحد الحكام بقطع يد كل من قطع إشارة المرور أو تجاوز السرعة القانونية!! فلا بد أن ينضبط المرور وتنعدم الوفيات! في درجة تعجب منها الدول المتحضرة! ويأتي من يثني على نتائج هذا القرار!! وأنه كان قراراً حكيماً وأن الوفيات انخفضت من ستة آلاف في السنة إلى (١٥) وفاة فقط!! وقل عدد الجرحى والمعاقين من مائة ألف في السنة إلى ٨٦ حالة فقط!!

لكن ما رأيكم في شرعية هذا القرار شرعاً وقانوناً؟ وماذا سيسببه على المدى الطويل؟! الإجابة معروفة للعقلاء من علماء الشريعة وعلماء التاريخ وعلماء الاجتماع والقانون.

وكذلك قتال المسلمين لا يجوز لمجرد وجود بدع وخرافات، لأن القتال لا يجوز إلا بنص شرعي (ردة ظاهرة، أو قطع طريق أو بغي)، أما بلا نص فارتكابه أسوأ من تلك البدع والخرافات.

[٣٥] مع تأكيدنا بأن هؤلاء السكان مسلمون وليسوا كفاراً ولا عبدة أصنام.

والشيخ محمد رحمه الله ربما لو لم يقاتل المسلمين، واكتفى بمراسلة العلماء وحثهم على الدعوة إلى الله؛ ربما لو فعل هذا لجاءت النتيجة نفسها ولو متأخرة، ولتجنبنا التكفير وما ترتب عليه من ذلك الزمن إلى عصرنا هذا الذي يعتمد فيه المكفرون على فتاوى الشيخ وعلماء الدعوة في تكفير المسلمين.

وإن كان سيد قطب رحمه الله قد بالغنا في نقده لأننا وجدنا في (متشابه) كلامه ما يوحي بالتكفير؛ فإن الشيخ محمد قد وجدنا التكفير في (صريح) كلامه لا متشابهه[٣٦]! فجعلنا سيد قطب كبش فداء لأنه ليس له أنصار عندنا وللشيخ أنصار! وهذا ليس من أخلاق طالب العلم الذي يقول الحق ولو على نفسه، ولا يحمل المسئولية الأبرياء، ولا يتفق هذا أيضاً مع مروءات الرجال الذين يأبون أن يضحوا بالضعفاء حماية للأقوياء.

والخلاصة هنا أن هذا الغلو في التكقير يدعونا لنقد عبارات الشيخ مع الاعتراف بفضله علينا، لكن الضرر في كتبه وإن رآه البعض يسيراً فإنه في الوقت نفسه خطير للهالة العظيمة الموجودة حول الشيخ رحمه الله، والمشكلة الكبرى عندنا أن فتاوانا اليوم في التكفير تخالف الشيخ تماماً، لكننا نجبر الناس على الإيمان بفتاوى الشيخ التي تحمل توسعاً في التكفير، والإيمان بفتاوانا التي كان يراها الشيخ (إرجائية إن لم يرها كفراً) والتي تتفق مع فتاوى خصوم الشيخ في الرد على التكفير!! وهذا جمع بين المتناقضات[٣٧].

ولو أننا قلنا: إن الشيخ اجتهد في التكفير فأخطأ لزال كل هذا التناقض، ولم ينقص دين ولا دنيا ولا مكانة، فالدين لا يهتز لتخطئة أمثال عمر وعلي رضي الله عنهما، فكيف يهتز لتخطئة ابن تيمية أو ابن القيم أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟!.

وبيان أخطاء الشيخ محمد في هذا الجانب (جانب التكفير) مفيد وضروري، لأن التيار السلفي عامة والمجتمع السعودي علماءه وطلاب العلم فيه تربوا على فتاوى الشيخ وعلماء الدعوة الذين كانوا يميلون لتكفير المسلمين، ولابد أن يتأثر بعضهم بهذا الجانب، وقد رأينا فتاوى لبعضهم في الحكم بردة بعض الناس!.

ومن قرأ كتاب (الدرر السنية) عرف هذا تماماً، بل في هذا الكتاب مجلدان كبيران بعنوان (الجهاد)، كلهما في جهاد المسلمين، وليس فيه حرف واحد في جهاد الكفار الأصليين من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان، مع أن بعض بلاد المسلمين كان فيها كفار أصليون محتلون...

---

٣٦ وإذا لم يكن قوله بأن شيوخه وشيوخهم وشيوخهم لا يعرفون دين الإسلام مع تفضيلهم لدين عمرو بن لحي على دين الإسلام، وأن أكثر الناس في عصره بنجد والحجاز على إنكار البعث...إذا لم يكن هذا الكلام ونحوه من صريح التكفير فما أدري ما هو التكفير إذن؟

٣٧ أقصد أن فتاوى العلماء المعاصرين ترد على شبه التكفير بحجج خصوم الشيخ نفسها التي كانوا يردون بها على الشيخ، ومن أوضح ذلك مسألة الحاكمية.

وتبادل التكفير حصل بين علماء الدعوة أنفسهم عندما اختلف أولاد الأمير فيصل بن تركي (عبـــد الله وسعود) رحمهم الله، فكان مع كل أمير علماء يكفرون الطائفة الأخرى.

فهذه (الفوضى التكفيرية) هي نتيجة طبيعية وحتمية من نتائج منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الذي توسع في التكفير؛ حتى وجدت كل طائفة في كلامه ما يؤيد وجهة نظرها.

بل حركة الإخوان في نجد وحركة الحرم وأصحاب التفجير في العليا الذين يصمهم الناس بالتكفير، ليسوا غرباء على الثقافة المحلية بل لو قلنا أنهم نتيجة لمنهج الشيخ في التكفير لما أبعدنا ومن شاء فليراجع مصادر هؤلاء وسيعرف هذا تماماً.

صحيح أن الشيخ له فضله واجتهاده وعذره وحسناته على هذا الوطن، وهذا من أرجى ما نرجو لــــه، لكن الحقيقة أن تكفير المسلمين واضح في كتبه رحمه الله، فلو رددنا هذا الخطأ واعترفنا به مـــا الـــذي يضيرنا؟! رجل من المصلحين اجتهد فأخطأ فلماذا كل المحاربة لمن رد خطأ مصلح أو عالم من العلماء؟!

الملحوظة التاسعة عشرة:

قول الشيخ ص٣٦: (فإن قال: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام فقل: وما معـــنى عبـــادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاهـــا فهـــذا يكذبه القرآن..) أهـــ.

أقول: عبادة الأصنام هي السجود لها والصلاة لها وطلب الحوائج منها مع الكفر بالنبوات.. وأما المسلم فلا يصلي لولي ولا نبي ويقر بأركان الإسلام وأركان الإيمان ويؤمن بالبعث و الحساب والجنة والنـــار.. الخ.

ثم في كلام الشيخ تعميم عجيب عندما قال ص٣٧: (الشرك هو فعلكم عند الأحجار والبنايات التي على القبور وغيرها..) وذكر أنهم (يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى! ويدفع عنـــا ببركته..) اهـــ، وأنا أشك في وجود مثل هذه الصورة التي نقلها الشيخ، فهذا إن وجد نادر، أما طلب البركة من تربة قبور الصالحين ونحوها فهو إلى اليوم وهو بدعة وليس كفراً[٣٨] فضلاً عن الشرك الأكـــبر المخرج من الملة لكل أهل تلك الجهة، بل كان الذهبي وبعض العلماء يجوزه وكانوا يقولون (قبر فـــلان ترياق مجرب) فهل هم كفار؟ ولا زال بعض العوام يفعلون هذا في مناطق مختلفة ولكن هـــذا لا يعـــني بالضرورة كفر الفاعل فكيف بكفر كل الناس الموجودين في تلك الجهات بحجة أنهم لم ينكروا أو شكوا

[٣٨] بل الذهبي يرى جواز ذلك.

في كفر الفاعل أو لم يهاجروا من بلاد الكفر..الخ؟ فهذا أمر آخر مختلف تماماً ومبني على إلزامات حادة في التعميم والغلو، بل لا تخلو منطقة ولا دولة إلى اليوم من وجود أفراد يعتقدون بركة بعض القبور، أو يعتقدون في السحرة والكهان اعتقادات باطلة أو كفرية، لكن هذا لا يعني تكفير الناس الذين لا يفعلون هذا بحجة أن من شك في كفر الكافر فهو كافر.. خاصة وأن هذا الجنس من الناس هم السواد الأعظم من المسلمين على مر العصور، مع أن الشيخ محمد رحمه الله كان يكفر كل أهل المنطقة التي يوجد بها مثل هذه الممارسات، بحجة أن من لم ينكر فهو كالفاعل.

ويظهر من كلام الشيخ محمد أنه إن علم بحادثة في الحجاز أو عسير أو سدير عممها على أهل تلك الجهة كلها فيكفرهم ويقاتلهم، فهو يعتبر وجود القبر الذي يتبرك به البعض كوجود الأصنام تماماً! وعلى هذا فديارهم ديار شرك وإن كانوا يرفعون الأذان ويصلون ويصومون ويقيمون شعائر الدين، فهذه كلها عند الشيخ لا قيمة لها لأنها صادرة من مشركين! (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً)!!.

وهذا التوسع في التكفير وتعميمه على الجهات غير الخاضعة للشيخ حجة من يرى أن الحركة سياسية بالدرجة الأولى؛ لأنه لا يعقل عند هؤلاء أن يظن الشيخ أن يكون أهل الحجاز على إجازة الذبح لأصحاب القبور أو دعاء أصحابها.. فهذا لن يكون إلا في أفراد، أما التبرك بالصالحين أو تربة قبورهم فهذه قد تكون عند كثير من العوام وعند بعض العلماء المتأولين ومنهم علماء كبار نتفاخر بسلفيتهم كالذهبي مثلاً.

فلو كان الذهبي معاصراً للشيخ هل نرى وجوب قتله وتكفيره؟! خاصة وأنه كان يرى التبرك بالصالحين وتربة قبورهم ؟!

إذا قلتم: نعم؛ أطردتم وأصبحت خصومتكم مع غيرنا.

وإن قلتم: لا، وافقتمونا بأن هذا الأمر لا يجوز فيه التكفير ولا القتال، نعم يمكن التخطئة والإنكار بلا تكفير ولا سيف.

الملاحظة العشرون:

قوله ص٣٩: (ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب).أهـ .

أقول: هذا يتضمن تكفير المخالفين له في الرأي الذين لا تصح فيهم هذه التهمة أبداً ، فليس هناك مسلم على وجه الأرض يقول هذا القول وليس هناك مسلم يقرأ هذه الآية من كلام الكفار ثم يقــول بمثــل قولهم.

الملحوظة الحادية والعشرون:

ويقول ص٣٩: (فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) هو الشرك الذي أنــزل فيه القرآن وقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله الناس عليه فأعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين) أهـــ.

أقول: وهذا تكفير صريح للمسلمين في زمانه إلا من كان على منهجه لأنه لا يعرف كلمة (اعتقاد) ولا كتب الاعتقاد إلا الصفوة من علماء وطلبة علم فإذا كان هؤلاء أشد شركاً من كفار قــريش فكيــف بالباقين؟! وقد سبق الجواب على هذا كله.

الملحوظة الثانية والعشرون:

ويقول ص٤٣: (الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء).

أقول: هذا تكفير صريح.

الملحوظة الثالثة والعشرون:

يقول ص٤٣: (اعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم فأصــغ بســمعك لجوابها وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكــذبون الرســول وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رســول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك)؟!

فيجاوب الشيخ قائلاً (فالجواب أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله (صــلى الله عليه وآله) في شيء وكذبه في شيء أنه كافر! لم يدخل في الإسلام وكذلك إذا آمن ببعض القــرآن وجحد بعضه! كمن أقر التوحيد وجحد وجوب الصلاة... -(ثم ذكر صوراً من هذا) - وواصل قائلاً: فإن كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض فهو الكافر حقاً وأنه يستحق ما ذكر زالت هذه الشبهة)أهـــ.

أقول: كلام الشيخ هنا عجيب! فهناك فرق كبير بين المنكر لشيء مما جاء به الرسول متعمداً مستهيناً به منكراً له مع اعتقاده أن النبي قاله، ممن ترك بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله متأولاً أو جاهلاً هذا أو ظاناً أنه منسوخ أو مخصص أو مقيد..الخ هذا أمر.

الأمر الثاني: لم ينكر هؤلاء شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة كالأمثلة التي ضربها الشيخ من ترك الصلاة أو ترك الزكاة أو الحج أو الإيمان ببعض القرآن والكفر ببعض..الخ.

الأمر الثالث: لو رجع الشيخ للكتب التي تناقش مسائل اختلاف العلماء ولعل أشهرها كتاب (رفع الملام) لابن تيمية رحمه الله لعرف عذر المخالفين فقد لا يثبت عندهم أمر ما أو نهي ما، وعلى هذا فلا يجوز له والحالة هذه أن يقول: هم ينكرون ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله)؟ لأنهم متأولون وليسوا منكرين، وهناك فرق كبير بين الإنكار المبني على المكابرة وبين التأويل العارض من دليل وشبهة، أو تركهم العمل بدليل يرون ضعفه، فهذا لا يعني أنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض! أو آمنوا ببعض ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله) ورفضوا بعضاً.

وكذلك لم يراع الشيخ الجهل فالجهل بالشيء يمنع من إطلاق الكفر على الجاهل.

وعلى منهج الشيخ يمكن للعلماء المختلفين أن يكفر بعضهم بعضاً بدعوى كل عالم أن الآخر أنكر شيئاً مما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله)! وأنه بهذا كمن كذّب الرسول (صلى الله عليه وآله) جملة! وهكذا... بينما الصواب غير هذا فالطرف الآخر لا يقر لك بأنه ينكر شيئاً مما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله)، وإنما يقول لك: هذا لم يثبت عندي أو يقول: إنما معناه كذا أو يعارضه كذا... الخ[٣٩].

وكلام الشيخ السابق يدل على أنه لم يحرر مسألة (الأسماء والأحكام) تحريراً يحمي التطبيق، ولم يحرر الموانع (موانع التكفير) كالجهل والتأويل والاضطرار... ولا يعترف إلا بالمكره، فعدم تحرير هذه المسائل والموانع لا ريب أنه يوقع المتكلم في التكفير بكل سهولة[٤٠].

ثم قاعدته تنطبق على كل طائفة من طوائف المسلمين وقد يرد عليكم مخالفوكم ويقولون: أول هؤلاء الكفار أنتم لا غيركم، فأنتم تَكْفُرون ببعض الكتاب، كعصمة دم المسلم وعدم تكفيره فأنتم عند هؤلاء تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض!! وهكذا... ويستدلون على هذا بالواقع فيقولون: هذا التكفير والقتال منكم لا زلنا نشاهد آثاره في هذه الأيام في كثير من الأقطار العربية.

---

[٣٩] كإنكار ابن أبي ذئب على الإمام مالك في رد حديث (المتبايعان بالخيار) قال: يستتاب وإلا ضربت عنقه؟! بحجة أنه رد الحديث أو ترك شيئاً مما أتى به الرسول (صلى الله عليه وآله) وهذا ضيق أفق من ابن أبي ذئب رحمه الله لأن الإمام مالك لن يترك الحديث إلا لعلة يراها أو نسخ أو نحوه، رحم الله الاثنين.

[٤٠] يمكن مراجعة ما كتبه الشيخ ابن باز والعلامة الألباني في هذا الموضوع.

الملحوظة الرابعة والعشرون:

قوله ص٤٨: -وكرر نحو هذا ص٥٧- (هؤلاء أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي (صلى الله عليه وآله) وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويصلون ويؤذنون فإن قالوا: إنهم يقولون إن مسيلمة نبي، قلنا: هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي (صلى الله عليه وآله) كفر وحل ماله ودمه و لم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابياً أو نبياً في مرتبة جبار السموات والأرض...)!! أهـ.

أقول: هذا الكلام فيه عدة أوهام عجيبة:

الأول: بنو حنيفة ارتدوا مطلقاً وآمنوا برجل زعموا أنه نبي وتركوا أوامر النبي (صلى الله عليه وآله) لأوامره عامدين.

وهؤلاء يختلفون عن أناس لا يحبون الصالحين إلا لمحبة هؤلاء الصالحين للنبي (صلى الله عليه وآله)، أو هكذا يظنون، ولا يرفعون أحداً من الصالحين فوق رتبة النبي (صلى الله عليه وآله)، ولا يوصلونه لهذا فضلاً عن جعل أحد الصالحين في رتبة الله عز وجل، فهذا لم يقل به هؤلاء الناس مطلقاً و لم يقل به مسلم عاقل[41] على مر التاريخ.

والشيخ يلزم بأشياء لا تلزم، وعلى منهجه يمكن تكفير من بحث عن رزقه عند فلان، أو حلف بالنبي صلى الله عليه وآله، أو حلف بالكعبة، أو غلا في أحد من الصالحين أو غيرهم وهذا خطأ بلا شك.

بل يمكن على هذا المنهج أن نكفر المغالين في الشيخ الذين لا يخطئونه ولا يقبلون نقده؛ الذين يحتجون بأنه أعلم بالشرع وقد يردون حديثاً صحيحاً أو آية كريمة..

وعلى هذا تأتي وتقول: هؤلاء رفعوا مقام الشيخ محمد إلى مقام النبوة أو الربوبية وعلى هذا فهم كفار مشركون... الخ.

فهذا منهج خاطئ والمسائل العلمية لا تؤخذ بهذا التخاصم، بل لها طرق معروفة عند المنصفين من عقلاء المسلمين والكفار.

الملحوظة الخامسة والعشرون:

[41] تحرزاً من بعض غلاة الشيعة وبعض غلاة الصوفية.

يقول ص٤٩ وكرر نحو هذا ص٥٨: (ويقال أيضاً الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار كلهم يدّعون الإسلام وهم من أصحاب علي وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثـــل الاعتقـــاد في يوسف وشمسان وأمثالهما؟ فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم)؟!

أقول: الذين حرقهم علي –إن صح التحريق ابتداءً[٤٢]– هم مرتدون لا يدعون الإسلام كما ذكر الشيخ، ولم يصح ما اشتهر في كتب العقائد من أنهم كانوا يؤلهون علياً إنما صح في البخاري أنهم مرتـــدون أو زنادقة، (اللفظان وردا في البخاري)، وإن صحت الرواية التي فيها أنهم اعتقدوا في علي الألوهية، فالحجة على الشيخ أعظم لأنهم بهذا لا يدعون الإسلام، وإنما جعلوا علياً إلهاً وهذا كفـــر بإجمـــاع المســـلمين وبالنصوص الشرعية.

ثم نرى الشيخ اختار أنهم (اعتقدوا في علي مثل اعتقاد الناس في شمسان..)!! وهذا لم يرد مطلقاً بمعنى لم يرد في روايات الذين حرقهم الإمام علي أنهم يغلون فيه فقط ذلك الغلو المقتـــرن بـــالإقرار بأركـــان الإسلام!! وإنما تركوا الإسلام كله فهل يريد الشيخ أن يوهمنا أن هؤلاء الذين قتلهم الإمام علي كهؤلاء الصوفية الذين يخلطون عباداتهم بنوع من الغلو والتوسل بالصالحين وما إلى ذلك؟!.

الملحوظة السادسة والعشرون:

أيضاً قوله ص٥٠ عن الفاطميين (بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس.. فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وأن بلادهـــم بـــلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين).أهـــ .

أقول: وهذا أيضاً غير صحيح فالحرب بين الأيوبيين والفاطميين حرب سياسية بحتة لا دخل للدين بها.

[٤٢] قصة تحريقهم أحياء انفرد بها عكرمة مولى ابن عباس ولم يشهد القصة وإنما ذكر أن الخبر بلغ سيده ابن عباس بلاغاً فقال لو كنت أنا لقتلتهم لأن الـــنبي صلى الله عليه وآله يقول: (من بدل دينه فاقتلوه) والحديث في البخاري من طريقين عن عكرمة ولم يخرجه مسلم، وقد رواه عكرمة بلاغاً ولم يكن بالكوفة وإنما كان بالبصرة مع مولاه ابن عباس ولعل الخبر وصلهم مشوهاً، أما روايات شهود العيان فذكرت أن القوم مرتدين وأن علياً قتلهم ولم يحرقهم ثم بعـــد قتلهم خدد لهم أخاديد وألقاهم فيها ودخن عليهم زيادة في التنكيل والترهيب من عملهم لأنهم لبثوا يأخذون عطاء المسلمين وهم مرتدون فترة من الـــزمن، ولعل هذا التدخين عليهم هو الذي أوهم بعض المشاهدين أنه أحرقهم وإلا فالإمام علي نفسه من أحرص الناس ألا يعذب بالنار خاصة وأنه من رواة حديث (لا يعذب بالنار إلا رب النار) ولم يصح أن صحابياً حرق أحياء إلا ما كان من أبي بكر الصديق رضي الله عنه من تحريقه المرتد الفجاءة السلمي –علماً بأن الشيخ محمد يزعم أن الفجاءة هذا كان قائماً بأركان الإسلام!!– وكان الفجاءة قد قام بأعمال قبيحة في الردة، وحرق خالد بن الوليد في الردة لكن خالداً رضي الله عنه ليس من أصحاب الصحبة الشرعية وهو صاحب مجازفات تبرأ من بعضها الرسول صلى الله عليه وآله في حياته كما في قصة بني جذيمـــة، ولا يعد خالد من المجتهدين إنما هو صاحب سيف وترس وليس صاحب علم وفقه رضي الله عنه وسامحه، وقد توسعت في ذكر طرق أحاديث وروايات التحريق في الجزء الأول من الرد على ابن تيمية رحمه الله.

وكانت البدع يومها في كل مكان في دولة بني العباس في العراق وتحت حكم صلاح الـــدين في مصـــر والشام وعند الفاطميين في مصر.. الخ كان الوضع في العالم الإسلامي يومها كالوضع في عهد الشـــيخ محمد تماماً!.

وجاء صلاح الدين مدداً للفاطميين من آل زنكي ثم استولى، ولا بد أن يستخدم الفاطميون والأيوبيون الدين سلاحاً في المعركة كما يفعل حكام العرب اليوم فالأمر ليس فيه غرابة، لابد أن تظهر كل دولة أن حربها للآخرين دينية وليست سياسية حتى تستجيش معها الغوغاء، وقد بدأ استخدام الـــدين لخدمـــة السياسة من أيام الدولة الأموية، من عهد معاوية تحديداً.

أما الفاطميون أو العبيديون -لا تهمني التسمية- فلن يعدموا مدافعين عنهم وناشرين لفضائلهم، بل أسوأ الفاطميين وهو الحاكم بأمر الله الذي اتهم بالزندقة والكفر ومع ذلك فقد دافع عنـــه بعـــض العلمـــاء والمؤرخين.

الملحوظة السابعة والعشرون:

وقوله ص٥١: عن (باب حكم المرتد) في كتب العلماء بأنهم ذكروا في ذلك أنواعاً كثيرة (كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو يذكرها على وجه المزاح..)أهـــ.

أقول: ليس كل ما ذكره هؤلاء يكون صحيحاً هذا أمر، فقد ذكروا أشياء كثيرة بعضها ردة بالإجماع، وبعضها مختلف فيه، وبعضها ليس ردة عند الأكثر، ولم يتفقوا في ذكر تلك المسائل، كما أن المسائل التي ذكروها تختلف بحسب المسألة، وبحسب القائل من جهل أو تأويل أو إكراه أو اضطرار..الخ.

الأمر الثاني: أن العلماء في عهد الشيخ يعرفون الأبواب الفقهية التي فيها حكـــم المرتـــد، ولم يقولـــوا بالاستباحة الجماعية للدماء والأموال؛ الذي يفتي به الشيخ هنا، وإنما يتم الحكم على الشخص بمفرده بعد قيام الحجة عليه.

الأمر الثالث: أن الفقهاء عندما يحتجون على الشيخ بشيء مما ذكره الفقهاء في كتبهم يسارع إلى اتهامهم باتخاذ هؤلاء الفقهاء أرباباً من دون الله، وأن هذا عين الشرك!!

أما الشيخ فإن علم عدة حالات معدودة في منطقة ما ألزم أهلها كلهم الردة واستحل دماءهم وأموالهم، بحجة أن تلك المنطقة بين ساكت ومرتد! فالمرتكب مرتد والساكت مرتد! وهذا يختلف تماماً عما ذكره الفقهاء تحت باب (حكم المرتد)، فإنهم لا يحكمون على المجموع بفعل البعض، بل بعضهم لا يقول هذا

إلا من باب الترهيب والتحذير من الشيء، لكنه عند وجود الحالة يعذر بالجهل ويبين له ما يرفع هـــذا الجهل.

فالحكم على القول أو الفعل بأنه ردة لا يعني الحكم على صاحب الفعل لاحتمال الجهـــل أو التأويـــل. فكيف بالحكم على منطقة كاملة فضلاً عن معظم العالم الإسلامي بفعل أفراد جهلة أو متأولين.

الملحوظة الثامنة والعشرون:

ثم يقول الشيخ ص٥٢،٥١ (الذين قال الله فيهم: (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفـــروا بعد إسلامهم..) أما سمعتَ أن الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآلـــه) يجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون؟)أهـــ.

أقول: أولاً: هؤلاء منافقون.

ثانياً: لم يستحل النبي (صلى الله عليه وآله) دماءهم ولا أموالهم و لم يقتلهم بل نهى عن ذلك؛ فهذا يخالف فعل الشيخ مع من حكم عليهم بالردة من المسلمين لا من المنافقين.

الملحوظة التاسعة والعشرون:

أيضاً قوله ص٥٢: (وكذلك الذين قال الله فيهم (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ لا تعتـــذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ..الآية).

يقول الشيخ-:

(فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح! فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم: تكفرون المسلمين أناســـاً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق)أهـــ.

أقول:

أولاً: هم زعموا أنهم قالوها على سبيل المزح (إنما كنا نخوض ونلعب) بينما الواقع أنهم يستهزئون بالنبي (صلى الله عليه وآله) والاستهزاء به (صلى الله عليه وآله) استهزاء بالشريعة نفسها فهذا كفر وردة.

ثانياً: لماذا يصدقهم الشيخ؟! عندما زعموا أنهم إنما فعلوا ذلك على سبيل المزح ؟! سبحان الله يكذبهم الله عز وجل في كتابه الكريم ويسميهم مستهزئين بالله وبآياته وبرسوله، ورسول الله (صلى الله عليه وآلـــه) يكذبهم في ذلك، ولا يقبل عذرهم؛ لأنه ليس صدقاً، ثم يأتي الشيخ رحمه الله فيقبل قولهم الذي كـــذبهم

الله فيه ورسوله، فأصبح قولهم صادقاً عند الشيخ وأصبح كلام الله عز وجل ورسوله غـــير مقبـــول في تكذيبهم!.

فانظر كيف أصبح كذب المنافقين حجة في تكفير المسلمين!

الملحوظة الثلاثون:

قوله ص٥٣: (وقول ناس من الصحابة (اجعل لنا ذات أنواط..)؟!.

أقول: هؤلاء الذين قالوها ليسوا من أصحاب الصحبة الخاصة (الشرعية)؛ وإنما هم الطلقاء قالوها يــوم حنين وكانوا حديثي عهد بكفر.

ثم في القصة دلالة على أن المجتمع لا يخلو من أناس يعتقدون الاعتقادات الباطلة، فهذا مجتمع النبي (صلى الله عليه وآله) وفيه من يعتقد مثل هذا كالطلقاء.. فهذا يدعو للرحمة بالناس وإرشادهم ولم يكفرهم النبي (صلى الله عليه وآله) لجهلهم.

الملحوظة الحادية والثلاثون:

قول الشيخ ص٦٣: (الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما قال تعــالى في قصــة موســى (فاستغاثة الذي من شيعته على الذي من عدوه..) وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غــيره في أشياء يقدر عليها المخلوق ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يــدعوا الله.. وهذا جائز في الدنيا والآخرة وذلك أن تأتي عند رجل صالح حتى يجالسك ويسمع كلامك تقول له: أدع الله لي كما كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يسألونه ذلك في حياته وأما بعد موته فحاشا وكلا...). أهـ .

أقول: فما رأيك فيمن تأول بأن الاستغاثة بالنبي (صلى الله عليه وآله) جائزة عند قبره لأن النبي حي في قبره؟!

لا ريب أن من يرى هذا الرأي له جانب من تأويل بل لهم في ذلك حديث عثمان بن حنيف.

ثم قد يأتي آخر ويقول لك: لماذا تذهب إلى رجل صالح وتطلب منه أن يدعو الله لك؟ لماذا لا تدعو الله مباشرة؟ أليس في هذا مشابهة لعمل الكفار في اتخاذ هؤلاء واسطة بينك وبين الله؟ ألم يقل الله (..فــإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان..)؟!!.

وهكذا يمكن لآخر من الخصوم أو غلاة الأتباع أن يضيق عليك المخارج حتى يحكم عليك بالكفر مثلما ضيقت على الآخرين حتى كفرهم.
نعم يستطيع آخر أن يلزمك بما ألزمت به الآخرين فيقول لك: النبي (صلى الله عليه وآله) له خصوصية، وقد أمر الله المنافقين أن يأتوا إليه ليستغفر لهم؛ لأن إتيانهم إليه دليل ظاهري على التوبة، لكن بأي دليل تُدخل أنت (الرجلَ الصالحَ) وتجوّز أن يأتيه الرجل ويسأله أن يدعو له؟! هل شرَّع هذا الله في كتابه؟ أو قاله رسوله؟ أو جاء عن أحد من أصحابه؟.
ولو كان هذا مشروعاً لنقل لنا لأنه مما تتوفر الدواعي على نقله..الخ.
ثم لماذا تقيد طلب الدعاء من الرجل الصالح (أن تأتي الرجل حتى تجالسه ويسمع كلامك)؟! وما الفرق بين هذا وبين من يوصي أحدهم إلى فلان أن يدعو الله له؟!
والحاصل هنا أنه بمنهج الشيخ يستطيع المخالف له المتعنت أن يلزمه الكفر فإن أعتذر بأعذار جاز للآخر أن يعتذر بأعذار مماثلة.
ونحن في هذا كله ندعو لإخلاص العبادة لله وترك التكفير.

الملحوظة الثانية والثلاثون:

ثم ختم الشيخ ص٦٦ بمسألة (عظيمة) وهي (أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً..)!!.أهـ .
أقول: وهذا فيه تقعيد لتكفير سائر المسلمين ممن لا يعرف الحقائق والإلزامات التي ذكرها الشيخ، وبهذا يستطيع أتباع الشيخ أن يختبروا الناس في عقائدهم وأعمالهم عند كل بلدة يدخلونها أو يكاتبونها فإن وجدوا عندهم تحفظاً أو أخطاءً استحلوا قتالهم؛ لأنهم (غير مسلمين)!!
بل إن الشيخ هنا أدخل الاختلال في العمل وعده من علامات الكفر! وعلى هذا يمكن بسهولة التكفير بالمعاصي؟! وبهذا وأمثاله اتهمه خصومه بأنه من الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي.
وموضوع الاختلال يختلف باختلاف المعصية لكن اختلال القلب لا يؤثر في الأحكام الدنيوية فالرسول (صلى الله عليه وآله) حكم بإسلام المنافقين في الظاهر، لكن عند الله لا بد من اللسان والقلب، أما الشيخ فلا يكتفي بإظهار المسلم للإسلام ونطقه بالشهادتين ولا يكتفي بصلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج ..الخ، وقد صرح بأنه يقاتل أناساً يصلون ويصومون ويحجون ويتصدقون ويشهدون الشهادتين!.
ثم ما هو اختلال العمل؟ هل الكبائر كشرب الخمر والسرقة وغيرهما من اختلال العمل؟ هل فاعلها يخرج من الإسلام حسب ظاهر كلام الشيخ؟ إذن فلماذا ننكر على الخوارج تكفير أهل المعاصي؟ ولماذا

ننكر المعتزلة والزيدية القول بخلود أهل الكبائر في النار والمنزلة بين المنزلتين؟! ولماذا ننكر على الآخـــرين اتهامنا بالتوسع في التكفير والتقييد له؟!

الملحوظة الثالثة والثلاثون:

وقال الشيخ ص٧٠: لم يستثن من الكفر (إلا المكره).

أقول: وهذا القصر فيه نظر فإن المضطر والخائف والمتأول والجاهل لا يجوز تكفيرهم، وهذا يدل على أن الشيخ لا يعول كثيراً على مسألة الأسماء والأحكام، فقد أهمل أبرز موانع التكفير، كالتأويل والجهل.

أما احتجاجه بأن الله لم يستثن إلا المكره في قوله تعالى: (إلا من أكره) فهذا نعم في هذه الآيـــة أمـــا في غيرها من الآيات والأحاديث الصحيحة فهناك معذورون آخرون غير المكره[٤٣].

وهذه من عيوب الشيخ فهو يعتمد على آية واحدة أو حديث واحد ويترك ما سواه فهذا خلل علمـــي، فقد يأتي آخر ويقول لم يحرم الله عز وجل إلا أربع محرمات في قوله تعالى: (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله).

فيقول: وعلى هذا فليس هناك أمور أخرى محرمة كالخمر والسرقة والزنا !! هكذا قد يقول وينســـى أن الله حرم الخمر والسرقة والزنا وغيرها في نصوص أخرى، وأن الآية السابقة خاصة بالأطعمة.

انتهت أبرز الملحوظات على كتاب كشف الشبهات، وهي ملحوظات رئيسة علـــى رســـالة صـــغيرة مشهورة، يتبين منها أن الشيخ رحمه الله توسع في التكفير، فنقول أخطأ وكفى، ولا يجوز تبرير الخطـــأ بغلو ولا التشنيع عليه بهذه الأخطاء، قلت هذا نصيحة والله المطلع على النيات، والحمد لله رب العالمين.

[٤٣] توسعت في ذكر هذه الموانع وأدلتها في كتاب (التكفير والتفجير – أسباب وحلول) وهو ما كان قد سبق نشره في ثلاث مقالات مطولة بعنوان: (رسالة إلى أخي عبد العزيز المعثم) نشرت في صحيفة الرياض بداية عام ١٤١٧هـــ، لكن الكتاب لم يطبع إلى الآن.

تحرير محل الخلاف:

معظم الخلاف بين الشيخ و مخالفيه يكمن في تركيزه على النظرية وتركيزهم على النتائج .

وخصوم الشيخ ليسوا من العوام بل هم خاصة أهل ذلك الزمان باعتراف الشيخ الدرر السنية (٢/٦٢).

فخصوم الشيخ مثلاً يتهمونه بأنه ينكر الشفاعة ويرد عليهم بأنه لا ينكر الشفاعة لكنه في الوقت نفسه يحصر الشفاعة لأتباعه الذين يسميهم (الموحدين)! ويصرح بأن الشفاعة ليس إلا للمسلمين –يعني من كان على رأيه-.

فهم أخطأوا في اتهامه بإنكار الشفاعة وهو أخطأ بحصرها في أتباعه فهم ينظرون للنتيجة وهو يبقيهم في المقدمات.

وكذلك يقولون: أنت تكفر المسلمين وهو يقسم أنه لا يكفر المسلمين ولا يكفر إلا من كفره الله ورسوله! وسر المسألة أنهم يرون النتيجة من تكفيره لهم ولأتباعهم لكنه يعتمد على المقدمة بأنهم ليسوا مسلمين فالمسلمون الذين لا يكفرهم هم الموحدون وهذه التسمية الأخيرة لا يسلمون له بها[٤٤].

وهكذا معظم ما يدندن حوله الشيخ وخصومه أن كل طرف متمسك بجانب فهو يتمسك بالمقدمة وهم يعترضون على النتائج، فلذلك لم يحدث تفاهم ولا تحرير موطن الخلاف و قد لا يتم مادام هناك غلاة من الطرفين، كل واحد ينتصر لطرف ويظلم الآخر.

وهذا يشبه ما يجري بين السنة والشيعة من اتهام السنة للشيعة بتكفير الصحابة والشيعة يقولون نحن لا نكفر الصحابة، فإذا نقلت لهم من كتبهم ما يدل على ذلك قالوا: هؤلاء ليسوا من الصحابة هؤلاء مرتدون!! والمرتد ليس صحابياً على منهجنا ومنهجكم!! فأنتم تشترطون في الصحابي بأنه (يموت على الإسلام) وهؤلاء ماتوا على غير الإسلام فهم خارج النزاع!

ولا تصح تهمتكم لنا.. وهكذا يدور المتخاصمون في حلقة مفرغة لأنهم لم يحرروا موقع الخلاف.

[٤٤] انظر على سبيل المثال قوله –في الدرر السنية(١/٦٣)- مدافعاً عن نفسه من تهمة تكفير المسلمين قال :

فإن قال قائلهم-يقصد معارضي الشيخ-: إنهم يكفرون بالعموم!

فنقول: سبحانك هذا بهتان عظيم!- لكن الشيخ يكمل بما يؤكد التهمة بقوله-: الذي نكفر الذي يشهد أن االتوحيد دين الله ودين رسوله وأن دعوة غير الله باطلة ثم بعد هذا يكفر أهل التوحيد ويسميهم الخوارج!.

أقول: إذن فالخلاف يكاد يكون لفظياً فقط، فتكفير الشيخ للخصوم والمعارضين بسبب تسميتهم للوهابية خوارج لا يجوز، بل لو قام الخصم بتكفيرنا لا يجوز لنا تكفيره، وهذا منهج الصحابة أنهم لا يكفرون من كفرهم، وقد قرر الشيخ هذا في مكان آخر فيعد هذا من التناقضات.

ثانياً:

قراءة في أقوال الشيخ
في كتب ورسائل أخرى-(الدرر السنية نموذجاً)

بقلم
حسن بن فرحان المالكي

آراء الشيخ في غير كشف الشبهات:

باستثناء مواضع قليلة كرسالة الشيخ إلى أهل القصيم (الدرر السنية ١/٣٤)[٤٥]؛ نجد كل كتب الشيخ ورسائله تقريباً؛ فيها توسع وغلو في التكفير؛ لا يمكننا أن نعتذر عن تلك الأخطاء.

ولو أخذنا (الدرر السنية)[٤٦] التي حوت أكثر كتب ورسائل الشيخ؛ لوجدنا ما يدل على الغلو في التكفير بوضوح في كثير من تقريرات الشيخ أختار من ذلك نماذج سريعة:

النموذج الأول: علماء نجد وقضاتها كانوا يعبدون الأصنام!!

هذا لازم قول الشيخ محمد إن لم يكن صريحه، فالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يكفر كل علماء نجد الذين عاصرهم وشيوخهم وشيوخ شيوخهم ويرى أنهم لا يعرفون معنى لا إله إلا الله! ولا دين الإسلام! وأنهم يفضلون دين عمرو بن لحي على دين النبي (صلى الله عليه وآله)!

والدليل على ثبوت ذلك عن الشيخ قوله -كما في الدرر السنية ١٠/٥١-: (... لقد طلبت العلم واعتقد من عرفني أن لي معرفة وأنا في ذلك الوقت لا أعرف معنى لا إله إلا الله ولا أعرف دين الإسلام! قبل هذا الخير الذي منّ الله به! وكذلك مشايخي ما منهم رجل عرف ذلك!، فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معنى لا إله إلا الله! أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت! أو زعم من مشايخه أن أحداً عرف ذلك! فقد كذب وافترى! ولبس على الناس! ومدح نفسه بما ليس فيه!).

ثم ذكر كلاماً مشابهاً (الدرر السنية١/٥٧) بأن العلماء الذين يخاطبهم ومشايخهم ومشايخ مشايخهم لا يفهمون دين الإسلام (ولم يميزوا بين دين محمد (صلى الله عليه وآله) ودين عمرو بن لحي الذي وضعه للعرب بل دين عمرو عندهم دين صحيح!!).

أقول: لا ريب عندي وعند كل منصف إن شاء الله أن هذا فيه تكفير صريح للصفوة من علماء وقضاة أهل نجد وشيوخهم وشيوخ شيوخهم فيكف بالعوام؟! وهذا ما لا نقر به اليوم فكل الكتب التاريخية عن منطقة نجد تذكر العلماء والقضاة وطلبة العلم المسلمين من أيام ابن عضيب في القرن التاسع إلى أيام الشيخ محمد ، وقد ترجم المؤرخون المعاصرون لكثير من علماء أشيقر وشقرا وبريدة وعنيزة وحريملاء

[٤٥] التي صرح فيها بأنه لا يكفر من توسل بالصالحين ولا يكفر البوصيري ولا يكفر ابن الفارض ولا ابن عربي ولا يبطل كتب المذاهب...الخ، وله كلام مشابه في المجلد الأول نفسه (ص٨٠).

[٤٦] الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي ، الطبعة السادسة مزيدة ومنقحة، ١٤١٧هـ، بلا ذكر للدار الطابعة، وقد عرف ابن قاسم هذا الكتاب بأنه (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، علماً بأن الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله توفي عام ١٣٩٢هـ، وقد كان ابن باز رحمه الله يدرّس هذا الكتاب ضمن دروسه اليومية، وعلمت أنه قد وجه بترك رسائل وفتاوى كانت غاية في التكفير، لكنني وجدت في الباقي ما يكفي، وسأقتصر على هذا الكتاب في هذا المبحث.

والعيينة والرياض والخرج والأفلاج وغيرها قبل الشيخ محمد؛ وهناك إجماع معاصر أن هؤلاء ليسوا كفاراً ولا عبدة أصنام، نعم قد يكون عند بعضهم أو كلهم تجويز للتبرك بالصالحين أو ضعف دعوي أو بعض البدع.. وهي أمور غاية ما يقال فيها أنها بدع أو أخطاء عقدية (إيمانية)، لكن أن يكونوا عبدة أصنام ويفضلون دين عمرو بن لحي على دين محمد بن عبد الله فهذا كلام باطل لا يقره منصف ولا أظن عاقلاً يجرؤ على مثل هذا الكلام ونبرأ إلى الله من تكفير المسلمين ونسأل الله أن يغفر للشيخ هذا (التكفير الصريح) لعلماء نجد رحمهم الله.

وقد ذكر الشيخ ابن حميد في كتاب (السحب الوابلة)[٤٧] كثيراً من علماء نجد في عصر الشيخ وقبله.

وللشيخ عبد الله البسام[٤٨] كتاب (علماء نجد خلال ثمانية قرون) ولم يتهم أحداً منهم بالبدعة فضلاً عن عبادة الأصنام وتفضيل دين عمرو بن لحي! وكتب الشيخ القاضي عن (علماء نجد) وكذا الشيخ بكر أبو زيد[٤٩] في كتابه (علماء الحنابلة) وغيرهم، ولم نجد أن أحداً منهم أو من غيرهم ممن ترجموا للعلماء قبل الشيخ أوفي عصره أن أحد هؤلاء العلماء كان يعبد الأصنام أو يدين بغير الإسلام!! ونعوذ بالله من اعتقاد هذا، فهذا مثال واضح من الأمثلة التي تؤكد أن الشيخ وقع في التكفير وأخطأ فيه رحمه الله وسامحه.

النموذج الثاني: أحد الحنابلة المقلدين لابن تيمية كان مشركاً؟!

ومن نماذج تكفير المعينين في كلام الشيخ قوله في رسالة إلى الشيخ سليمان بن سحيم (كما في الدرر السنية ٣١/١٠) :

(نذكر لك أنك أنت وأباك مصرحون بالكفر والشرك والنفاق!! **...** أنت وأبوك مجتهدان في عداوة هذا الدين ليلاً ونهاراً!!... أنك رجل معاند ضال على علم مختار الكفر على الإسلام!! **...** و هذا كتابكم فيه كفركم!!) اهـ.

وقال -(كما في الدرر السنية ٧٨/١٠)-: (فأما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق فسبابة للتوحيد!**...** وابن فيروز هو أقربهم إلى الإسلام!).

قلت: مع أن ابن فيروز هذا قد اعترف الشيخ بأنه (رجل من الحنابلة وينتحل كلام ابن تيمية وابن القيم)، فسبحان الله العظيم، إذا كان هذا الرجل الحنبلي الذي يقلد ابن تيمية وابن القيم لم يدخل في

---

[٤٧] بتحقيق الشيخ بكر أبو زيد.

[٤٨] عالم حنبلي وهو عضو في هيئة كبار العلماء.

[٤٩] عالم حنبلي وهو عضو في هيئة كبار العلماء.

الإسلام إلى الآن بل صرح الشيخ في مكان آخر أنه (كافر كفراً أكبر مخرج من الملة)[50] إذا كان هذا هو حال الحنبلي المقلد لابن تيمية وابن القيم فكيف بالفقهاء من المالكية والشافعية والأحناف والظاهرية فضلاً عن فقهاء الزيدية والإباضية والإمامية والصوفية وسائر العامة؟!!

النموذج الثالث: المسلمون ينكرون البعث؟!

يزعم الشيخ رحمه الله وسامحه أن أكثر أهل نجد وأهل الحجاز على إنكار البعث!! (كما في الدرر السنية ٤٣/١٠).

قلت: وهذا مما يعلم بالضرورة انه باطل وغير صحيح فأكثر الناس بل كلهم على الإيمان بيوم البعث سواءً في زمنه أو قبله أو بعده، وإنما أصاب الناس فترة كثرت فيها البدع والخرافات؛ ولا زالت كثيرة إلى يومنا هذا في الجزيرة وفي العالم الإسلامي، ولكن لا يعني هذا أن المسلمين كانوا كفاراً أو أنهم ينكرون البعث! فأين هذا من هذا؟!

النموذج الرابع: الكفر الذي يقصده الشيخ هو المخرج من الملة!!

والكفر الذي يطلقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليس كفراً أصغر وإنما يريد ذلك الكفر الأكبر المخرج من الملة وقد تكرر هذا كثيراً في كتبه وتقريراته ومن ذلك قوله: (في الدرر ٦٣/١٠): (بل العبارة صريحة واضحة في تكفير مثل ابن فيروز وصالح بن عبد الله وأمثالهما كفراً ظاهراً ينقل عن الملة فضلاً عن غيرهما)! أهـ.

أقول: وأظن أن هذا التكفير واضح ولا يحتاج إلى أكبر من هذا الإثبات، فهذه العبارة فيها خطآن كبيران، الأول: تكفير المعين المسلم المتأول، والثاني: التكفير المخرج من الملة، وهذا التكفير يترتب عليه أمور خطيرة وكبيرة من إباحة الدم والمال وسبي الذرية ومنع التوارث وتحريم الاستغفار أو الصدقة عنهم أو الحج عنهم وغير ذلك من الأمور الكبرى التي لا تخفى على طالب علم.

النموذج الخامس: تكفير المعين أيضاً!

والشيخ رحمه الله لما خالفه أحمد بن عبد الكريم أرسل الشيخ له رسالة فيها (الدرر السنية ٦٤/١٠) (...طحت على ابن غنام وغيره وتبرأت من ملة إبراهيم وأشهدهم على نفسك بإتباع المشركين...)!!

[50] انظر الدرر السنية (٦٣/١٠).

أقول: هذا تكفير صريح خاصة على منهج الشيخ.

النموذج السادس: الحرمان الشريفان ديار كفر!!

أما بلدان المشركين عند الشيخ رحمه الله وسامحه فهي كل البلاد التي لم تدخل تحت طاعته أو دعوته و لم يستثن منها الحرمين الشريفين! انظر على سبيل المثال (١٠/٧٥،٦٤، ٧٧، ١٢ ،٨٦).

النموذج السابع: تكفير الإمامية.

تكفير الإمامية ومن شك في كفرهم فهو كافر (١٠/٣٦٩) نقل هذا عن المقدسي وأقره، مع أن ابن تيمية له كلام صريح بأن هؤلاء مبتدعة مسلمين وليسوا كفاراً، لكن الشيخ رحمه الله يجمع الشدائد، وتكفير الإمامية سهل إذا عرفنا أن الشيخ يكفر كل المتكلمين ومنهم الأشاعرة ويكفر العلماء والقضاة من أتباع المذاهب الأربعة .

النموذج الثامن: تكفير من سب صحابياً.

تكفير من سب صحابياً (١٠/٣٦٩) وهذا غير صحيح فالإمام علي لم يكفر الخوارج وهم يكفرونه ويسبونه وكذلك أبوبكر الصديق؛ ثبت عنه في مسنده في المسند بسند صحيح النهي عن إيذاء من يسبه، ثم لماذا يجعلون سب الصحابي كفراً وهم يدافعون عن معاوية وقد كان يسب علياً؟ ألم يثبت عنه في صحيح مسلم أمره بسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ أم أن حمى علي مباحة وحمى غيره مصونة؟ (مالكم كيف تحكمون)؟

النموذج التاسع: تكفير أهل مكة

تكفير أهل مكة (١٠/٨٦)، (٩/٢٩١) وذكر الشيخ أن دينهم هو الذي بعث رسول الله بالإنذار عنه! وزاد بعض الوهابية: بأنهم عبدة قبور! وأن من لم يكفرهم فهو كافر مثلهم وإن كان يبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين!

النموذج العاشر: تكفير البدو!

تكفير البدو (١٠/١١٣، ١١٤) (٨/١١٩،١١٨،١١٧) وأنهم (أكفر من اليهود والنصارى)، وأنه (ليس عندهم من الإسلام شعرة! وإن نطقوا بالشهادتين) انظر الدرر السنية: (٩/٢،٢٣٨).

النموذج الحادي عشر: تكفير قبيلة عنزة!

- تكفير عنزة في الدرر(١١٣/١٠) وأنهم لا يؤمنون بالبعث!.

النموذج الثاني عشر: تكفير قبيلة الظفير!

- تكفير الظفير في الدرر(١١٣/١٠) وأنهم لا يؤمنون بالبعث!.

النموذج الثالث عشر: تكفير أهل العيينة والدرعية:

انظر تكفيره ابن سحيم ومن معه من أهل العيينة والدرعية الذين كانوا من معارضي الشيخ في الدرر (٥٧/٨).

النموذج الرابع عشر: تكفير السواد الأعظم من المسلمين!

راجع تكفيره السواد الأعظم في الدرر(٨/١٠).

النموذج الخامس عشر: تكفير ابن عربي وأنه أكفر من فرعون وأن من لم يكفره فهو كافر بل تكفير من شك في كفره ! في الدرر(٢٥/١٠)، وهذا فيه تكفير لكل الصوفية، مع أنه في رسالة أخرى رد على من يزعم أنه يكفر ابن عربي! ولا أدري أكان آخر أمر الشيخ على تكفيره أم لا.

النموذج السادس عشر: تكفير من يتحرج من تكفير أهل لا إله إلا الله! كما في الدرر السنية (١٣٩/١٠).

النموذج السابع عشر: تكفير من يسمي أتباع الشيخ خوارج ويقف مع خصومهم ولو كانوا موحدين ينكرون دعوة غير الله (٦٣/١)، قلت: إذن فوقوف ذلك الشخص مع قبيلته ضد الشيخ وأتباعه ليس من أجل التوحيد ولو كان من أجل التوحيد لما شهد أن التوحيد حق وأنكر دعوة غير الله ولكن ربما وقوفه لشيء آخر فهو يرى أن عندهم مخالفات أخرى، ثم الخوارج قد سموا علياً ومن معه من الصحابة كفاراً وهو لقب أسوأ من (خوارج) ومع ذلك لم يكفرهم.

النموذج الثامن عشر: في كل بلد من بلدان نجد صنم معبود من دون الله!

فقد زعم الشيخ سامحه الله أن كل بلد من بلدان نجد فيه صنم يعبدونه من دون الله، كما في الدرر (١٩٣/١٠).

- قلت: وقد لا يعني هنا الأصنام الحقيقة وإنما يعني بالأصنام أولئك الفقهاء من المقلدين للأئمة الأربعة، أو الأشخاص الذين يتبرك بهم الناس ويظنون فيهم الصلاح، وهذا استخدام للمجاز الذي ينكره الوهابية تقليداً لابن تيمية، وهذا إسراف في استخدام المجاز وتعميم غير صحيح.

النموذج التاسع عشر: تكفير الرازي صاحب التفسير!

تكفير الشيخ للرازي صاحب التفسير في الدرر (١٠/ ٧٢، ٢٧٣) بل زعم الشيخ سامحه الله أن الرازي هذا ألف كتاباً يحسن فيه عبادة الكواكب (١٠/٣٥٥)! وذكر أنه نقل هذا عن ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم وقد راجعت الكتاب المذكور ولم أعثر على هذا الكلام، فإن صح هذا عن ابن تيمية فقد أخطأ بلا شك فالرازي عالم مسلم لن يحسن عبادة غير الله[٥١]، وقد يكون ألف كتاباً عن فوائد الكواكب وتأثيرها على الزروع ونحو ذلك، فيأتي ابن تيمية أو الشيخ سامحهما الله ويبالغان في الموضوع، والله قد حرم الكذب والظلم فلا يجوز أن نتهم أحد علماء المسلمين الكبار بهذه التهمة الكبيرة إلا ببرهان قاطع.

النموذج العشرون:

- تكفير طوائف لا يجمعهم إلا خصومة الشيخ وهم من فعل الشرك (وقد عرفنا توسع الشيخ في تعريفه وأن معظم ما ينكره يدخل في البدعة أو الشرك الأصغر وليس الأكبر)، وتكفير من عادى أهل الشرك ولم يكفرهم! وتكفير من لم يحب التوحيد ولم يبغضه وتكفير من لم يعرف الشرك وتكفير من لم يعرف التوحيد وتكفير من يعمل بالتوحيد لكن لم يعرف قدره! ولم يبغض من تركه ولم يكفرهم (الدرر السنية٢/٢٢).

قلت: كل ماذكره الشيخ صحيح لو كان يريد بالشرك الشرك الأكبر المجمع على أنه شرك أكبر، أما إلزام الناس بتعريف للشرك وتعريف للتوحيد، لا يوافقه عليه معظم علماء عصره فهذا يجعل الأمر مختلفاً، فلابد من التفريق بين الشرك الأصغر والأكبر، وبين الشرك والبدعة، ثم يكون التكفير والقتال في الذين تحقق فيهم الشرك الأكبر، وهذا ما لم يحدث، فقد رأينا أن معظم ما ينكره الشيخ -وهو مصيب - بدع وخرافات وشرك أصغر، والتكفير الذي يطلبه من الآخرين في مرتكب البدع والخرافات هو التكفير الأكبر المخرج من الملة فتنبه لهذا.

النموذج الواحد والعشرون: تكفير أكثر أهل الشام وأنهم يعبدون ابن عربي، وتكفير من يشك في كفر ابن عربي.

وتكفير الشيخ لأكثر أهل الشام وأنهم يعبدون ابن عربي في الدرر السنية(٢/٤٥)، وأتباع ابن عربي لا يعبدونه وإن وجد في عوامهم من يفعل ذلك فلا يجوز تعميمه على أكثر الأتباع.

أما تكفيره من شك في كفر أتباع ابن عربي ففي الدرر السنية(٢/٤٥)، (١٠/٢٥).

[٥١] وقد أثنى عليه الذهبي والسبكي وابن خلكان وغيرهم وهو فقيه ومفسر وأصولي ومتكلم وفيلسوف وطبيب، وله أخطاء كما لغيره أخطاء، لكن ليست من الأخطاء الكفرية كما يقول الشيخ، ولو كان يحسن عبادة الكواكب لذمه هؤلاء، أو ذكروا هذا الكفر على الأقل ولو كفرنا كل من أخطأ لن يبق معنا أحد.

النموذج الثاني والعشرون: الفقه عين الشرك!

أرجو أن أكون مخطئاً في فهم كلام الشيخ هنا فإنه في رسالته إلى ابن عيسى الذي احتج عليه بأن الفقهاء يرون غير ما ترى؛ ذكر الشيخ الآية الكريمة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) فقال: فسرها رسول الله والأئمة من بعده بهذا الذي تسمونه (الفقه) وه الذي سماه الله شركاً واتخاذهم ارباباً لا اعلـم بين المفسرين خلافاً في ذلك! اهـ كلامه في الدرر(٥٩/٢).

- قلت: أولاً الحديث حديث عدي بن حاتم فيه نزاع قوي.
- ثانياً: كيف تكون كتب الفقه التي احتج بها الخصم تكون عين الشرك؟! إذا كان يقصد أن خصومه يقلدونها فهو أيضاً يقلد بعض توسعات الفقهاء في باب المرتد.

النموذج الثالث والعشرون:

- تكفير أهل الوشم من علماء وعامة (٧٧/٢).

النموذج الرابع والعشرون:

- تكفير أهل سدير من علماء وعامة (٧٧/٢).

النموذج الخامس والعشرون:

يقول في الدرر السنية (٤٣/١)، في رسالة له لأحد القضاة المشهورين واسمه عبد الله بن عبد اللطيف:- (وما أحسنك أن تكون في آخر هذا الزمان فاروقاً لدين الله كعمر رضي الله عنه في أوله) أهـ.

أقول: هكذا وكأنه يرى أن المخالفين له ليسوا بمسلمين؟!

النموذج السادس والعشرون:

نقل في (الدرر السنية٥٣/١): الإجماع على تكفير المتكلمين! وهذا إطلاق غير صحيح، لا يطلقه مـن يعرف معنى المتكلم وأنها تشمل المسلم والكافر، فالمتكلم المسلم مسلم وإن وقع في الكفر بتأويل، فمـا كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه، بل يظهر من كلامه أنه يريد بالمتكلمين هنا المتكلمين المسـلمين ولا يقصد الكفار، ونقل عن الذهبي والدارقطني والبيهقي وغيرهم تكفير المتكلمين، وهذا نقل باطـل، عرفنا ذلك في الذهبي على الأقل فكتابه (النبلاء) مليء بتراجم المتكلمين لا أذكر أنه كفر رجلاً منـهم، نعم قد يأخذ عليه أخطاء وبدعاً ولكنه لا يكفرهم كما نقل الشيخ، بل إنه ليعتذر عنـهم – أحيانـاً- اعتذارات ضعيفة.

النموذج السابع والعشرون:

ويذكر(٥٤/١) :أن أهل الأحساء في زمانه يعبدون الاصنام !! وهذا غير صحيح.

النموذج الثامن والعشرون:

وذكر في رسالته لابن عبد اللطيف (الدرر ١/٥٣-٥٤):

أن عندهم عبادة الأصنام (من بشر وحجر)،

وزاد على ذلك أنه لا يعلم (أحداً من أهل العلم يخالف في ذلك)! إلا من (يؤمن منهم بالجبت والطاغوت)!

وأن أهل العلم في بلد ابن عبد اللطيف (ملتبسون بالشرك الأكبر)! بل (ويدعون إليه)!.

وهذا كله مبالغة وغلو فالعلماء والقضاة في نجد والحجاز والأحساء في عهد الشيخ محمد مثل غيرهم من العلماء والقضاة في العالم الإسلامي، في عهده وقبله وبعده، وهذه كتبهم ورسائلهم وأهاليهم لم ينقلوا عنهم عبادة أصنام ولا دعوة لها، وأما الغلو في المشايخ والتبرك فيمكن تصنيفها ضمن البدع والخرافات وليس ضمن الشرك الأكبر المخرج من الملة.

النموذج التاسع والعشرون:

قوله (٧٣/١) : (أنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعدما عرفه سبه وهى الناس عنه وعادى من فعله...).

أقول: هذا الكلام يكرره الشيخ كثيراً، وهو صحيح نظرياً، لكن من حيث الواقع يريد بـ (دين الرسول) ما هو عليه واتباعه فخصومه من علماء وقضاة وعوام لا يقولون إنهم يعادون دين الإسلام بل هو يعترف أنهم قائمون بأركان الإسلام الخمسة فلم يعادوا دين الرسول و لم ينهوا الناس عنه.

وهم يردون الحجة نفسها ويقولون: أن من دين الرسول ألا نقاتل من قال لا إله إلا الله، وأن ذلك يعصم دمه وماله ويقولون: أن الشيخ محمد عرف هذا ثم نهى الناس عنه وعاداه، وعلى هذا فهو يعادي دين الرسول وينهى عنه! ... وهكذا لم نخرج من الدوران، وعاد النهر ليصب في المنبع، وتبادل الشيخ وخصومه التكفير لأن الجميع أهمل ضوابط التكفير وموانعه[٥٢]، والكل يجزم ويقطع في أمور بعضها صحيح ، وأكثرها متشابهة ملتبسة يصعب القطع فيها، لكن الجميع لا يؤمن بالنسبية في مثل هذه الأمور، فإذا ترجح عند أحدهم مسألة عدها من دين الرسول، وأصبح من لا يتبعها معادياً لدين الرسول! وهذه فوضى علمية يخلطها تظالم وتكفير متبادل وربما ساعد في ذلك الظروف السياسية، والخصومات المذهبية والتعصب للبلد والقبيلة والمذهب، ورحم الله الجميع، ونحن مدعوون لنستفيد من أخطاء الماضي وألا نكرر تلك الأخطاء، فالتاريخ لا يرحم، والخطأ الذي تسترنا عليه اليوم سيصبح غداً خطأين، ويصبح يوم

[٥٢] مع أن أغلب خصومه لا يتهمونه بالكفر الأكبر ولا عبادة الأصنام وإنما يتهمونه بالخارجية.

القيامة ثلاثة، خطأ وقع، والتعصب له خطأ ثانٍ، ومحاربة من نبهنا عليه خطأ ثالث، وعند الله تجتمع الخصوم.

النموذج الثلاثون:

ويرى أن الاعتقاد في الصالحين ليس كالزنا والسرقة وإنما هو (عبادة للأصنام)[٥٣]، ويكرر هذا المعنى كثيراً مع أن كلمة الاعتقاد في الصالحين كلمة عامة؛ يدخل فيها التوسل والتبرك ونحوه مما قال به كثير أهل العلم؛ وخاصة التبرك، وأنا لا أرى هذا ولا هذا وقد تخاصمت مع بعض طلبة العلم ممن يرى التبرك وانتصرت لرأي الشيخ في إنكاره؛ الذي أرى انه الأقرب إلى الحق، ولكن إقرارنا بحقه في إنكار هذه الاعتقادات ليس معناه الإقرار بتكفير من لم يوافقه من علماء وعوام لأن معظم ما أنكره الشيخ عليهم لهم أخطاء وبدع فيه شبهة وتأويل ونحوه مما سبق شرحه.

النموذج الواحد والثلاثون :

ذكر (١٠٢/١): بأنه يكفر الأصناف التالية:

- من عرف دين الرسول صلى الله عليه وآله و لم يتبعه!.
- ومن عرفه وأحبه لكن كان يكره من دخل في التوحيد ويحب من بقي على الشرك!.
- ومن عرف الدين لكنه سبه ومدح عبدة يوسف والأشقر والخضر..!
- من سلم من هذا كله ولكن لم يهاجر من بلده بلد الشرك إلى بلد التوحيد![٥٤].

أقول: هذه الحالات الأربع أيضاً نجد فيها النهر يصب في المنبع!! وسبق الجواب، بأنهم لا يسلمون للشيخ أن الحق معه في كل ما يقول، أو أن الباطل معهم في كل ما يقولون، والذي يصوب إنكار الشيخ للبدع لا يصوبه في تكفير المبتدعة والجهلة والمتأولين من علماء وعامة.

ثم كيف نستطيع أن نعقل صدق بأن هناك من يعرف التوحيد ويحبه ويتبعه ويدخل فيه ويترك الشرك؛ ثم بعد هذا كله يكره من دخل في التوحيد ويحب من بقي على الشرك؟! هذا لا يعقل.

لا يوجد في الدنيا رجل يحب ديناً أو مذهباً ويبغض أهله إلا إذا كان يبغضهم لشيء يرى أنهم خالفوا فيه ذلك الدين أو ذلك المذهب، مثلما نحن السنة قد يبغض بعضنا بعضاً ظناً من المتخاصمين بأن الطرف الآخر لا يمثل السنة وأنه يسيء لها[٥٥].

---

[٥٣] الدرر السنية (٧٨/١).

[٥٤] والغريب أنه في مواضع أخرى ينكر أنه يكفر من لم يهاجر إليه! وهذا ذهول أو رجوع أو مناورة.

[٥٥] مثلما تبادل الشيخ وخصومه البغض مع أنهم كلهم مسلمون وكلهم من أهل السنة، ومثلما تبادل الإمام مالك وابن إسحاق البغض وكلهم مسلمون وهكذا سائر خصومات الاقران لا بد أن يصاحبها بغض لكن هذا البغض لا يجوز أن يدفع صاحبه لتكفير خصومه إلا بدليل ظاهر له فيه من الله برهان.

فليس هناك مسلم يكره من دخل في الإسلام ولا نصراني يكره من دخل في النصرانية ولا شيعي يكــره من دخل في التشيع ولا سلفي يكره من دخل في السلفية... هذا منطق عجيب.

نعم، قد يصوبه رجل في بعض ما يذهب إليه؛ وهو كإنكار البدع والدعوة للتوحيد الخــالص لكــن لا يذهب معه إلى نهاية الطريق ويكفرهم.

بمعنى أنه يعرف أن قول الشيخ فيه حق وباطل؛ فهو يأخذ الحق ويترك الباطل، والشيخ يريد منه إمــا أن ينكر كل ما يقول به أو يتبعه كله؛ وهذا لا يلزم إلا في دعوة الأنبياء الذين يجب اتباعهم في كــل مــا يقولون به ويأمرون به وينهون عنه، أما سائر الناس من خلفاء وعلماء؛ فالناس قد خالفوهم في بعــض الأمر؛ فلم يصيبهم منهم التكفير ولا القتال، فبعض الصحابة تخلفوا عن الإمام علي في قتاله لأهل البغي، وبعض الناس حاربه، وبعضهم خذل الناس عنه، و لم يقل عن المتوقفين ولا المخذلين ولا المحاربين : (إنهم سبوا دين الرسول)! أو (نهوا الناس عن دين الرسول)! مع أن الدين الذي يدين به علي بن أبي طالــب وعمار بن ياسر أصفى وأنقى من الدين الذي يدين به الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولو سار الإمام علي على منهج الشيخ لكفر أهل الجمل وأهل صفين والحرورية، بدعوى أنهم (يحاربون دين الرسول)! إضافة إلى أنه كان يملك من النصوص الخاصة –فضلاً عن العامة– ما يستطيع بــه أن يــدعم تكفــيره لهــذه الطوائف[٥٦].

صحيح أنه قد صحَّ عن الإمام علي أنه كان يقول: (لا أجد إلا قتالهم أو الكفر بما أنزل على محمــد)؛ يعني بذلك نفسه، أي أنه لو لم يقاتل البغاة والخوارج فكأنه كفر بالآية الكريمة (فقاتلوا التي تبغي حــتى تفيء إلى أمر الله)[٥٧]، فالكفر هنا يعني به (عدم الاستجابة لأوامر الآية)، لكنه لم يكفر أهل البغــي ولا

---

[٥٦] فمن النصوص في الخوارج (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية)! ومن النصوص الخاصة في فئة معاوية (يدعون إلى النــار) و(القاســطون)، فهاتان الطائفتان كان يمكن للإمام علي ومن معه من أهل بدر والرضوان أن يكفرهم بها لو استجاب للحماس الداخلي وظروف المعركة الخارجيــة، كــان يستطيع أن يقول من مرق من الإسلام مروق السهم من الرمية فلن يعود فيه! ومن دعا إلى النار فليس بمسلم، و(أما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)، لكــن الإمام علي ومن معه من أهل بدر كانوا أتقى لله من أن يعملوا النصوص في غير ماهي فيه من تخطئة البغاة ووجوب قتالهم، وبعد هذا يأخذ علــيٌّ هــؤلاء إعجابي بهذا الإمام العظيم.

[٥٧] الآية محكمة وقد حاول بعض علماء الحنابلة من الشاميين المنحرفين عن علي أن يتفلسف ويزعم: (أن قتال الفئة الباغية لم يأمر الله به ابتداء)! ونســي أو تناسى أن الصلح أيضاً في الآية نفسها لم يأمر الله به ابتداءً أيضاً! وإنما أمر به بعد القتال! فهل يقول عاقل: إن الصلح بين فئتين غير مشروع حتى يقتتلا؟! فإذا كان جامداً على (ظاهرية الآية) فليجمد على ظاهرية كل الآية جميعاً؛ وإن كان يرى (مشروعية الصلح ابتداءً) ولو لم يحدث قتال؛ لزمه أن يرى (مشروعية قتال الفئة الباغية) ولو لم يحدث صلح، أما أن يجمد على نصف الآية ويترك بقيتها فهذا تناقض يدل على الهوى، وقد يتحقق الصلح بلا سابق قتال، كما أنه قد يتحقق البغي بلا سابق صلح، ويدل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله سمى فئة معاوية باغية و لم يحدث قبلها إلا دعوتها للجماعة، فإما أن يكون هذا هو الصلح المأمور به في الآية في حالة كون الخصم إماماً شرعياً، وإما أن تحقق البغي لا يشترط فيه صلح سابق، وإن استفدنا (مشروعية الصلح) مطلقاً مــن خارج الآية نستطيع بسهولة أن نستفيد (مشروعية قتال أهل البغي وشاق العصا) من خارج الآية أيضاً، فتبين بهذا وغير أن حبل النصب قصير، وإن دنــدن حوله علماء أهل الشام!

الخوارج فضلاً عن المتوقفين والمخذلين، وعذرهم في الشبهة التي عرضت لهم حتى لو كان يعرف أن بعض رؤوسهم كمعاوية ليس جاداً وإنما هو طالب ملك، لكن السيرة في قتال أهل البغي يجب أن يتم التعامل فيها مع ظاهر مطالبهم وهذا من كمال العدل مع الخصوم، لأن التعامل بالنيات والتوقعات ليس منهجاً شرعياً ولو كان شرعياً لفعله النبي صلى الله عليه وآله مع المنافقين، ولفعله الإمام علي مع معاوية والخوارج.

والخلاصة هنا: أنه إذا كان القتال مع علي بن أبي طالب ليس واجباً على من عرضت له شبهة –مع وجود الأدلة العامة والخاصة الصحيحة والصريحة في وجوب قتال البغاة والخوارج– فالقتال مع الشيخ محمد وتكفير من خالفه لا يجب من باب الأولى.

وكذا تكفيره لمن لم يهاجر ويترك وطنه! فهذا خطأ أيضاً لأن الهجرة الشرعية التي تجب ويكفر من تركها مستطيعاً كانت الهجرة إلى النبي (صلى الله عليه وآله).

أما الهجرة بعده (صلى الله عليه وآله) فتجب بشروط لكن دون تكفير لتاركها، وقد لا تجب لمصالح أخرى مثلما زماننا هذا، فإنه لا يجوز لنا تكفير المسلمين المضطهدين في العالم الذين لا يريدون الهجرة من ديارهم.

النموذج الثاني والثلاثون :

نقل الشيخ قولاً (١١٢/١) يوحي بتكفير الأشعري وغيره ممن ينفي الصفات!

النموذج الثالث والثلاثون :

وقال ص١١٣ المعطل شر من المشرك!! والمعطلة عندنا يدخل فيهم الأشاعرة وابن حزم الظاهري والظاهرية وأكثر الصوفية والشيعة والأحناف وكثير من أتباع المذاهب الأربعة إلا من كان مقلداً لغلاة الحنابلة ولابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، وهذا يخرج أكثر الأمة من الإسلام.

النموذج الرابع والثلاثون:

ثم ذكر (١١٣/١) أن إنكار الرب تبارك وتعالى هو (مذهب ابن عربي وابن الفارض وفئام من الناس لا يحصيهم إلا الله)!! مع أنه ذكر ص٣٤ أنه لا يكفرهم!! فقال: –ذكروا عني أنني (أكفر ابن الفارض وابن عربي..) وجوابي على هذا المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم!!) بل صرحَّ ص١٠٤ بأنه لا يكفر (من عبد الصنم)!!

أقول: كيف يصح عندك أنهم ينكرون الرب عز وجل ثم لا تكفرهم؟! ولا تكفر من يعبد الصنم؟! بينما تكفر من يؤمن بالله ورسوله ويقيم أركان الإسلام ويجتنب المحرمات مع أخطاء تصاحب ذلك سواءً في الاعتقاد أو العمل.

النموذج الخامس والثلاثون:

١ -وذكر (١/١١٣) أن منكر الصفات منكر لحقيقة الألوهية!!
أقول: وهذا يلزم منه تكفير الأشاعرة وابن حزم وأغلب أتباع المذاهب الأربعة، وهم لا ينكرون حقيقة الألوهية.
وقد عرض بالأشعري وسماه (إمامهم الكبير)!! ص١١٤ يقصد إمام المعطلة أو المتكلمين، وأنا ممن يأخذ على الأشعري أخطاء كبيرة خاصة في دعاواه الإجماع على أمور مختلف فيها، وأشجع الرد عليه بالحق مثلما نشجع الرد على ابن تيمية بالحق أيضاً لا بالباطل، فكلاهما مسلمان إمامان جليلان لكن وقعا في بعض الأخطاء كبيرة كانت أو صغيرة.
النموذج السادس والثلاثون :
قوله عن المسلمين المعاصرين له ص١١٧ (وكثير من أهل الزمان لا يعرف من الآلهة المعبودة إلا هبل ويغوث ويعوق ونسراً واللات والعزى ومناة!! فإن جاد فهمه عرف أن المقامات المعبودة اليوم من البشر والشجر والحجر ونحوها مثل شمسان وإدريس وأبو حديدة ونحوهم منها)!!.
أقول: لا تعليق!.
النموذج السابع والثلاثون:
وقال ص١٢٠ (شرك كفار قريش دون شرك كثير من الناس اليوم).!
وهؤلاء الناس الكفار هم عند الشيخ الأكثرية يقول ص١٦٠ (فإذا علمت هذا وعلمت ما عليه أكثر الناس علمت أنهم أعظم كفراً وشركاً من المشركين الذين قاتلهم النبي (صلى الله عليه وآله)!!.
وذكر ص١٦٢ أن من هؤلاء الكفار (الذي يحكم بغير ما أنزل الله) وهذا عمدة الذين يكفرون الحكام وقد لقي هذا النوع نقداً من العلماء المعاصرين لكن للأسف كان لظروف سياسية وليس عن مبادرة من العلماء حتى يكون لكلامهم مصداقية عند الشباب فهؤلاء الشباب يقولون للعلماء أنتم أصبحتم صوتاً للحاكم فإذا سخط على أناس كفرتموهم وإن نهاكم انتهيتم وبهذا لا يكون لهم مصداقية لكن لو قاموا من زمن بعيد وذموا الغلو في التكفير وردوا عليه لما وقع العلماء في هذا الحرج وكذلك الحكام، أقول هذا مع مطالبتنا بتحكيم الإسلام في كل شؤوننا لكن نريد ذلك التحكيم الصادر من الكتاب والسنة وليس من اختيارات منتقاة من بعض العلماء.
وهذا يتطلب الانفتاح على كل المذاهب الإسلامية مع الحوار والبحث الجاد المتأني والدراسة الموسعة.
النموذج الثامن والثلاثون:

وذكر (٢٣٤/١) أنه لا يكفر إلا:

(من بلغته دعوتنا للحق

ووضحت له المحجة

وقامت عليه الحجة

وأصر مستكبراً معانداً)!!

ثم مثل لذلك بقوله: (كغالب من نقاتلهم اليوم يصرون على ذلك الإشراك ويمتنعون من فعل الواجبات ويتظاهرون بأفعال الكبائر، المحرمات...)!!.

أقول: لكنهم لا يسلمون لكم فبعضهم لا يرى دعوتكم حقاً خالصاً وإنما يعرفون منها وينكرون ومثل هؤلاء لم توضح لهم المحجة أو (لم يفهم الحجة) فكل هذا حاصل وكل فرقة خلطت الحق بباطل والصواب بخطأ، ونحن هنا لا يجوز أن نسمع من أحد الخصمين دون الآخر، فلو سألناهم لقالوا: نحن نقوم بأركان الإسلام بشهادة الشيخ لكنه مع ذلك كفرنا ورأى قتالنا إلا أن نترك ديارنا ونهاجر إليه ونقاتل معه المسلمين الذين حرم الله قتالهم...الخ) فهذه ستكون حجتهم، وهي وجهة نظر فيها من القوة الشئ الكثير، ومن كان يرى هذا فلا يجوز تكفيره وقد يجوز قتاله لبغي أو قطع طريق أو ظلم.

النموذج التاسع والثلاثون :

١٢- و الغريب أن الشيخ رحمه الله يورد استدلالاً عجيباً (١٤٥/١) وهو: أن إقرار الكفار بتوحيد الله لم يعصم دمائهم وأموالهم ؟!

أقول : على التسليم بأنه ليس فيهم دهريون ولا منكرو اليوم الآخر، فأن توحيدهم لم يعصم أموالهم لأنهم لم ينطقوا بالشهادتين ولو فعلوها ولو باللسان لعصمت دمائهم وأموالهم كالمنافقين .

أما الشيخ وأتباعه رحمهم الله فلم يكتفوا من الناس بالنطق بالشهادتين ولا تطبيق أركان الإسلام الخمسة و لم تعصم هذه كلها دماءهم ولا أموالهم .

والتناقض عند الشيخ عجيب فهو يقول (١٥٦/١-١٦٠) وكذلك (١/ ٢٦٦): أن الشرك قد ملأ الأرض في عصره بينما يقول (٨٣/١): أن أكثر الأمة على الدين الصحيح !!

النموذج الأربعون:

تكفير من نطق بكلمة كفر حتى ولو جهل معناها! أو ظن أنها لا تكفره (١٢٥/١٠)، واستدل بقصة منافقي تبوك! مع أن هؤلاء كانوا يعرفون معنى ما يتكلمون به بأنه استهزاء لكن اعتذارهم كاذب، وقد تم التنبيه على هذا الأمر.

تنصل الشيخ من التكفير:

ومع هذا كله نجد الشيخ رحمه الله كثيراً ما يتنصل من التكفير ويدفعه عن نفسه، يقول (وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفر بالظن وبالموالاة أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله)![58]

قلت: حتى هذه العبارة فيها تكفير ضمني لمن ينكر عليه التكفير! لأن من (أراد تنفير الناس عن دين الله فهو كافر) على منهج الشيخ ومنهج غيره، فالتكفير إن لم يختف في مواقف الدفاع عن النفس من تهمة التكفير فمتى يختفي؟

هل تناقض الشيخ ؟!

الشيخ نفى عن نفسه أموراً أكثرها موجودة في فتاواه فلعل نفيه لها رجوع أو ذهول أو مناورة ومنها:

١ -إنكاره أنه يبطل كتب المذاهب الأربعة (الدرر ١/٣٤)، (١٠/١٣)، مع أنه يسميها في موضع آخر (عين الشرك)!(٢/٥٩).

٢ - إنكاره أنه يقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء! (الدرر ٩/٣٤)، (١٠/١٣)،

٣ -إنكاره أنه يدعي الاجتهاد والخروج عن التقليد (٩/٣٤)، (١٠/١٣)،

٤ - أنكر أنه يقول اختلاف العلماء نقمة (٩/٣٤)، (١٠/١٣)،

٥ -أنكر أنه يكفر من توسل بالصالحين (٩/٣٤)، (١٠/١٣)،

٦ -أنكر أنه يكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق (٩/٣٤)، (١٠/١٣)

٧ -أنكر أنه يقول لو قدر على قبة رسول الله لهدمها، ولو قدر على الكعبة لأخذ ميزابها وجعل لها ميزاباً من خشب (٩/٣٤)، (١٠/١٣)،

٨ -أنكر أنه يحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله (٩/٣٤)، (١٠/١٣)،

٩ -أنكر أن يكون قد حرم زيارة قبر الوالدين (٩/٣٤)، (١٠/١٣)

١٠ - أنكر أنه يكفر من حلف بغير الله (٩/٣٤)، (١٠/١٣)،

١١ - أنكر أن يكفر ابن الفارض (٩/٣٤)

١٢ - أنكر أنه يكفر ابن عربي (٩/٣٤)، مع أنه في مواضع أخرى يرى أنه أكفر من فرعون!، بل يكفر من لم يكفره وطائفته! (انظر: الدرر السنية١٠/٢،٢٥/٤٥).

١٣ - أنكر أنه يحرق دلائل الخيرات (٩/٨٠،٣٤)، مع أنهم لما دخلوا مكة حرقوه (١/٢٢٨)!

---

[58] الدرر السنية (١٠/١١٣)

١٤ -أنكر أنه يحرق روض الرياحين(٣٤/٩)، مع أنهم لما دخلوا مكة حرقوه أيضاً! لأنه يدخل الناس في الشرك!(٢٢٨/١).

١٥ -أنكر أنه يكفر جميع الناس إلا من تبعه (٨٠/٩)

١٦ -وأن أنكحتهم السابقة غير صحيحة(٨٠/٩)

١٧ -وأنكر المبادءة بقتال الآخرين وأنه لا يقاتل إلا دفاعاً عن النفس والحرمة، من باب رد السيئة بسيئة مثلها، إضافة إلى قتال من سب دين الرسول!(٨٣/٩)

١٨ - ذكر أن لا يكفر من عبد الصنم ! الذي على قبر عبد القادر ولا من عبد الصنم الذي على قبر البدوي! لجهل الذين يعبدون تلك الأصنام! (١٠٤/١)، لكنه في مواضع أخرى لا يعترف بمانع الجهل، ويكتب في إبطال هذا المانع (انظر: الدرر السنية ٣٦٩/١٠،٣٦٨، ٣٩٢)

١٩ - وأنه لا يكفر من لم يهاجر إليه(١٠٤/١)، لكنه وضع شرطاً يستطيع أن يخرج به من هذا النفي وهو : أن يكون الشخص قادراً على إظهار دينه! وهذه القدرة لها شروط أيضاً من أن يكفر أهل بلده ولا يصيبه أذى! فعاد النهر ليصب في المنبع! فالبلدة التي يتمكن فيها الشخص من هذا يعني أنها داخلة في أراضي الدعوة!

٢٠ -وأنه يكفر من لم يكفر المخالفين ويقاتلهم (١٠٤/١)،

٢١ -وأنه لا يكفر تارك الصلاة(١٠٢/١)

٢٢ - وأنه لا يكفر من لم يدخل في طاعته(١٢٨/١٠)، لكنه يشترط فيه إظهار آراء الشيخ والبراءة من خصومه الذين يسميهم المشركين! فاصبح الاختلاف لفظياً أما من حيث الواقع فالتهمة تكاد تكون متحققة.

٢٣ -ذكر أنه لا يحكم بالكفر على الجاهل الذي يعمل الشرك والكفر حتى تبلغه الحجة؛ وإنما يقول عمله عمل الكفار (١٣٦/١٠) ولكنه في نصوص أخرى حكم بأن شيوخه وشيوخهم وشيوخ شيوخهم كانوا يفضلون دين عمرو بن لحي على دين النبي صلى الله عليه وآله! وأن أكثر أهل نجد والحجاز على إنكار البعث ونحو هذا الكلام الذي فيه التكفير صريحاً ويصعب تصديق ما ذكره في هذه المسائل.

٢٤ -ذكر بأنه إنما ينفي الإسلام الصرف! الذي لا يخالطه شرك ولا بدع، أما الإسلام الذي ضده الكفر فلا ينفيه! (١٦/١٠)، وقد رأيتم حكمه على أناس بأنهم كافرون كفراً ينقل عن الملة! وأن مشركي قريش أخف من مشركي زماننا بمسألتين! ...الخ!

٢٥ - وقد صرح الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله بأن أصحاب الشيخ محمد لو خرجوا من قبورهم لقاتلوهم! فقال (لو ظهر علينا أهل الدرعية لقاتلونا)!! (٦/١٦)، وهذه شهادة كبيرة على الغلو في التكفير والقتال، فإذا كان الناس في زمن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله يستحقون التكفير والقتال -على منهج الشيخ محمد- مع أنهم كونهم مغالين أيضاً في التكفير والقتال فكيف بالله عليكم ببقية المسلمين؟!! خاصة وأن عبد الرحمن بن حسن كان شديداً في الحق فارق الأمير فيصل بن تركي لأن الأخير طالب بمعاقبة أحد جنوده في الحوش ومنع من ضربه في السوق، فقال عبد الحمن بن حسن: سلام عليكم وفارقه فلم يرجعه فيصل بن تركي إلا من الحوطة! ولم يرجع حتى ضرب ذلك الجندي في السوق، فإذا كان هذا حال زمانه ويرى أن الشيخ محمد سيستحل قتالهم وتكفيرهم فكيف ببقية المسلمين؟ وهذا يدل على أن الشيخ محمد رحمه الله وأتباعه كانوا يكفرون ويقاتلون لأدنى سبب.

الفصل الثالث: المسيرة تتواصل!:

جاء تلاميذ الشيخ ومقلدوه رحمهم الله وسامحهم ليواصلوا التكفير فقالوا بتكفير من وافق أهل بلده في الظاهر وإن كان يرى خطأهم ومحب الشيخ في الباطن، وتكفير قبائل قحطان والعجمان، وتكفير أهل حايل، وتكفير من خرج إلى البلدان خارج بلدان الدعوة إذا كان يرى إسلام أهل تلك البلدان، وتكفير ابن عربي وابن الفارض -وهذان لم يختص بتكفيرهما الوهابية وإن كان التبديع أليق وأسلم- وتكفير أهل مكة والمدينة، وتكفير الدولة العثمانية، بل وتكفير من لا يكفرها! وتكفير الإباضية،

- أما تكفير من وافق أهل بلده -كالحجاز أواليمن أوالشام- ولو في الظاهر وإن كان في الباطن محباً للوهابية مبغضاً لقومه (٨/١٢١)، جاء هذا على لسان الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد رحمه الله.
- وأما تكفير المسافر إلى خارج بلاد الدعوة خاصة مع اعتقاد إسلام البلدان الأخرى (٨/٤٢٤) وهذا عند حمد بن عبد العزيز.
- وأما تكفير ابن عربي وابن الفارض وأنهما من أكفر أهل الأرض، ففي الدرر (٨/٣٦٦) وهذا عند الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله.
- وأما التصريح بأن مكة والمدينة ديار كفر آبين عن الإسلام، ففي الدرر (٩/٢٨٥).

- وأما تكفير الدولة العثمانية ففي الدرر(٤٢٩/١٠) وأن من لم يكفرها فهو كافر! لا يعرف معنى لا إله إلا الله! وأن من أعانهم فقد ارتكب الردة صريحة! قالها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البابطين رحمه الله.

- وأما تكفير قبيلة قحطان ففي الدرر(٥٠٣/١٠) بسبب تحاكمهم إلى الأحكام القبلية، وهذا عند ابن سحمان.

- وأما تكفير قبيلة العجمان ففي الدرر (٥٠٣/١٠) بسبب تحاكمهم إلى الأحكام القبلية عند ابن سحمان أيضاً.
- وأما تكفير أهل حايل ففي الدرر(٢٩١،٢٩٢/٩) وأن جهادهم من أفضل الجهاد.
- تكفير الإباضية (٤٣٨،٤٣١/١٠) عند عبد الله بن عبد اللطيف رحمه الله.
- تكفير من دخل في الدعوة وادعى أن آباءه ماتوا على الإسلام! يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه! وصار ماله فيئاً للمسلمين!(١٤٣/١٠)[٥٩]، وإن كان قد حج فعليه إعادة الحج لأن حجه قبل انضمامه للدعوة كان أيام شركه ومن شروط الحج الإسلام! (١٣٨/١٠) وهذا عند أبناء الشيخ وحمد بن ناصر رحم الله الجميع وتجاوز عنهم ووهب أخطاءهم لصوابهم وغفر لهم وجمعنا وإياهم في الجنة.
- تكفير الجهمية (٤٣٠/١٠) وأنهم زنادقة مرتدون بالإجماع هذا عند بعض الوهابية علماً أنهم يدخلون الأشاعرة في الجهمية! وقد اعتدل آخرون من علماء الدعوة، في الدرر (٣٧٣/١٠) فذكروا الخلاف في تكفيرهم وأن الحكم بإسلامهم ليس مجمعاً عليه، وهذا أخف من مدعي الإجماع على كفرهم.
- تكفير من سمى الوهابية خوارج (١٨٢/١٠) عند الشيخ عبد الله بن محمد مع أنه من المعتدلين، وهذا رد للتبديع بتكفير! ولذلك لم يكفر عليٌّ ومن معه من الصحابة الخوارج مع أن الخوارج كفروهم، وقد اعترف الشيخ بأنه (لا يجوز تكفير من يكفرنا) (٢٤/١٠).

- يرى الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: أن صلاة أحمد خلف الجهمية من أوضح الأدلة على كفرهم (٤٢٠/١٠)، وهذا استلال غريب عجيب يصعب عليّ فهمه!.
- من قال لا إله إلا الله حال الحرب يقتل ولا يتوقف عنه كما فعل اسامة بن زيد لأن صاحب أسامة لم يقلها قبل ذلك وهم يقولونها قبل ذلك!! (٢٣٩/٩).
- تكفير من بلغته الدعوة و لم يسلم (٢٤٥/٩).

[٥٩] إلا إذا كان آباؤه داخلين في الدعوة أو أنهم لم يرتكبوا شيئاً مما نهى عنه الشيخ.

- تكفير من لم يكفر أهل مكة (٢٩١/٩).
- تكفير الأشاعرة وأنهم لا يعرفون معنى الشهادتين (٣٦٤/١،٣٦٢،٣٢٤،٣١٢،٣٢٠).
- تكفير المعتزلة (٣٥٧/١).
- تكفير الخوارج وأنهم خارجون عن الإسلام (١٧٧/١٠) عند عبد الله ابن الشيخ.
- تكفير مانعي الزكاة وأنهم خارجون عن الإسلام (١٧٧/١٠) عند عبد الله ابن الشيخ.
- تكفير الناس بالحرمين ومصر والشام واليمن والعراق ونجران وحضرموت والموصل والأكراد (٣٨٥/١،٣٨٠).
- وتحدث الشيخ ابن حميد رحمه الله عن (انقلاب الأكثرين عن دين الإسلام وموالاتهم لعبدة الأوثان وأعداء الشريعة من الملحدين والنصارى والرافضة) (٤٧١/١٥)، وأن هذا (عام في القرى والأمصار والبوادي إلا بقايا ممن رسخت في التوحيد عقائدهم) (٤٧١/١٥)! وأن (كل مسلم يوالي الكفار والمشركين واليهود والنصارى ولا ينكر عليهم شركهم ويحسن أفعالهم أو يشك في كفرهم أنه كافر ولو عرف التوحيد وعمل بشرائع الإسلام الظاهرة) (٤٧٥/١٥)، وذكر أنواع التشبه بالكفار والركون وذكر منها (اللبس وزيارتهم ولين الكلام ومد العين إلى زهرتهم وتقريبهم في الجلوس واستعمالهم في الوظائف والدخول عليهم والبشاشة لهم أو إظهار ولو شيء من البشاشة! والطلاقة والإكرام العام ومعاونتهم ولو بأدنى شيء والتزيي بزيهم والسكنى معهم في ديارهم والميل اليسير فكيف بمجالستهم ومؤاكلتهم وإلانة الكلام، وتقريبهم في الجلوس) (١٥/ ٤٧٦-٤٨٢)، ثم يقول (وإذا فهمت ما تقدم تبين لك انحراف كثير من أهالي هذا الزمان وردتهم الصريحة)! وأن من أكرمهم أو أثنى عليهم أو عاشرهم أو لم يعلن البراءة منهم (فهذا ردة من فاعله! يجب أن تجرى عليه أحكام المرتدين! كما يدل على ذلك الكتاب! والسنة! وإجماع الأمة! المقتدى بهم)!(٤٧٩/١٥)، وأنه (يحرم السفر إلى بلاد المشركين للتجارة إلا أن يكون المسلم قوياً له منعة يقدر على إظهار دينه وتكفيرهم وعيب دينهم والطعن عليهم! والبراءة منهم! وإظهار البغضاء والعداوة لهم، ولا يبدأوهم بالسلام، وإذا لقوهم في طريق فليضطروهم إلى أضيقه، وأن يصرح لهم بأنهم كفار!وأنه عدو لهم ويعلمون منه ذلك! فإن لم يحصل لم يكن مظهراً للدين[٦٠]!..ولا يعتبر فعل الصلاة فقط إظهاراً للدين ولا اعتزالهم واجتناب ذبائحهم)! (٤٨٢/١٥-٤٩١)، وأن الذين يستخدمون الخدم الكفار في بيوتهم ومكاتبهم

[٦٠] ومعظم هذا يخص الكفار المحاربين لا المسالمين ولا أهل الذمة ولا المعاهدين، فكيف إذا علمنا أن هذا أن المقصود بالمشركين في هذه العبارات –فيما يظهر– المسلمون في الدول المجاورة؟! فإذا أطلقوا (المشركين) فغالباً لا يقصدون الكفار الأصليين وإنما يقصدون المسلمين على الأكثر الأعم، والنادر لا حكم له.

وأشغالهم ..ومع ذلك هم تاركون لكثير من الواجبات فاعلون لكثير من المحرمات لا يعرفون من الشهادتين إلا الألفاظ فهم مثل هؤلاء كفار مرتدون (ومن شك في ردهم عن الإسلام فهو لا يعرف الدين ولم يشم رائحة العلم النافع)! (٤٨٦/١٥)، وأن مثل هذا الإستخدام (محرم بنص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة)(٤٨٦/١٥).

- نماذج من مواقف المتأخرين من التعليم:

سأذكر النماذج دون الإشارة إلى أسماء قائليها منعاً للإحراج، ولأن الهدف نقد الفكرة وليس نقد الأشخاص فمن تلك النماذج قول بعضهم:

- المعلمون الذين تستقدمهم وزارة المعارف من الدول العربية ملحدون (الدرر السنية ٥/١٦)، وزنادقة!! (١٢/١٦).

- ووصل التكفير إلى المعين، فكفر بعض العلماء الدكتور فوزي الشيبي واتهمه بأنه أكبر داعية للإلحاد والزندقة[٦١] (١٢/١٦).

- وأن هؤلاء المعلمين القادمين من الدول العربية قد جاءوا لشجرة لا إله إلا الله التي جاء بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٦٢] ليقتلعوها من هذا الوطن(٨/١٦)!

- وأن هذه الشجرة قد زالت من تلك الأمصار[٦٣](٨/١٦)!

- وأن هؤلاء المعلمين هم من أفراخ الأفرنج وعباد الأولياء ومن تاركي الصلاة وغيرها من شعائر الإسلام (١٠٠/١٦).

- وأن من سافر إلى الدول المجاورة لتعليم أو تجارة أو غيرها يجب أن يهجر حتى يظهر التوبة (٤٦٢/١٥).

- وكان المواطن القادم من تلك البلاد يغمس في الماء بثيابه بعد صلاة الجمعة ليمتنع من السفر لبلاد المشركين (٤٦٢/١٥).

---

[٦١] وعمدتهم في هذا (بلغنا)!

[٦٢] مع ما في هذا من غلو ظاهر في الشيخ محمد ، فشجرة لا إله إلا الله جاء بها النبي صلى الله عليه وآله، بل سبقه إليها سائر الأنبياء عليهم السلام، فلو كانت العبارة (الشجرة التي سقاها محمد بن عبد الوهاب) لكانت أليق بمقام النبي صلى الله عليه وآله وأليق بمقام الشيخ محمد الذي لا يرتضي هذا الغلو، أما أن نرفع من شأن الشيخ محمد على حساب النبي صلى الله عليه وآله فكلا وألف كلا.

[٦٣] وهذا تكفير صريح للمسلمين في الدول التي كانت وزارة المعارف تستقدم منها المعلمين، كمصر وسوريا والأردن والسودان وفلسطين ودول المغرب العربي وغيرها.

وفي فتاواهم التحريم والنهي عن كل العلوم غير الشرعية، كالرسوم والأشغال والرياضة والألعاب (١٥/١٦)، والحقوق والطبيعة والتصوير (١٠/١٦)، والتعليم العصري (٥٠/١٦)، وتعليم البنات(٧١/١٦).

- وأن العلوم العصرية هي مباديء الإلحاد (٤٨٩/١٥)، وقد بينها كاتب المقالة بأنها الرسوم والأشغال والرياضة والألعاب[٦٤] (١٥/١٦).

- وأنه بتعليم المرأة يحصل التبرج وتمزيق الحجاب وكشف الساق والفخذ والرأس والصدر (٧٤/١٦)، وفتح بيوت البغاء والسينما والرقص والخلاعة! (٨١/١٦).

- وأن النصيحة لكل مسلم ألا يدخل ابنه أو ابنته في هذه المدارس التي ظاهرها الرحمة وباطنها البلاء والفتنة ونهايتها السفور والفجور (٧٤/١٦).

- وأن فتح مدارس البنات مصيبة عظيمة وطامة كبرى (٧٨/١٦، ٨٣).

- واستنكروا على الرئيس العام لتعليم البنات عزمه على تعليم البنات الحساب والهندسة والجغرافيا (٧٩/١٦).

- وأن المنادين بتعليم المرأة هم أفراخ الأفرنج (٨١/١٦).

- وأنهم يحبون الشر ويبغضون الخير وأهله ويقلدون الكفرة ويتشبهون بالمجوس! (٨١/١٦)، ويحاولون إخراج البنات من بيوتهن ليتمكنوا من التمتع بهن بحيلة التعليم! (٨٢/١٦).

- وأنه لا يرضى بهذه المدارس إلا من لا غيرة عنده ولا رجولة ولا دين والغالب على هؤلاء انهم من دعاة الفجور (٨٤/١٦).

- وأن أهل هذه البلاد شابهوا الخارج من الكفار وأفراخهم في عدة أمور محظورة (محرمة) وذكروا منها الملاهي والتنزه والتلفزيون (٣١/١٥).

- وحرموا لعب الكرة للطلاب وغيرهم وأنها سرت إلى المسلمين من الغرب فلم تكن على عهد الخلفاء الراشدين ولا ملوك المسلمين(٢٠٠/١٥، ٢٠٤)، وأنها من التشبه بأعداء الله (٢٠٦/١٥)، ولا يمارسها إلا السفهاء (٢٠٦/١٥)، ومما يدل على أنها من التشبه أنها تطابق

---

[٦٤] وقد حاول محشي الكتاب أن يخفف الإطلاق السابق فقال (يعني بالعلو العصرية التي تؤدي إلى الإلحاد وتعليم التمثيل والأغاني والألحان وتعليم الغيب! بالنجوم والكواكب، وعلوم الفلسفة ولا يعني علم طبقات الأرض والطب والهندسة) اهـ مختصراً، وفي قوله هذا أيضاً غلو ظاهر، فليس هناك علوم تعلم الإلحاد ولا علم الغيب، حتى علم الفلسفة لا يعلم الإلحاد فهو بحسب الفيلسوف، ولعلنا نرى اليوم أن من أكبر المدافعين عن الإسلام أثراً وإقناعاً هم الفلاسفة المسلمون.

عمل الأمريكان في وضع أخشاب الكرة[65]! (٢٠٦/١٥)، وأن هذا من التشبه ثم أورد حديث (من تشبه بقوم فهو منهم)! وأنها من جملة المنكر الذي ينبغي تغييره (٢٠٦/١٥)، وأنها من الميسر(٢٠٧/١٥)، وذكروا من أوجه تحريم الكرة أن فيها نوعاً من المرح وقد قال الله عز وجل (ولا تمش في الأرض مرحاً)[66]! (٢١٠/١٥)، وأنها من اللهو الباطل (٢١٣/١٥)، ومن الضلال (٢١٤/١٥)، وأنها شر من الشطرنج (٢١٥/١٥)، ومن لعب الشطرنج فهو فاسق (٢١٤/١٥).

– وأن التلفزيون آلة بلاء وشر داعية إلى كل رذيلة ومجون (٢٤٣/١٥)، وأن من رأى إباحة التلفزيون فقد قذف الشيطان بزبده في قلوبهم المظلمة (٢٣٦/١٥)، واتبعوا أهواءهم وهم قوم قد ضلوا وأضلوا من قبل وضلوا عن سواء السبيل (٢٣٦/١٥).

– أما الغناء فقد بالغوا في تحريمه حتى حرموا سماع الدف بل أصوات السواني!(٥٣٦/١٤، ٥٣٧) وأن أصوات السواني المسماة المحال من المحرمات بلا ريب! (٥٣٧/١٤).

– وبالغوا في تحريم الدخان حتى أبلغوه لدرجة الخمر وأنه مسكر كالخمر! (٥٩/١٥، ٦٢) وأفتوا بأن شارب الدخان يجلد ثمانين جلدة كشارب الخمر تماماً (٩٣/١٥)!

– وبالغوا في تحريم التصوير بكافة أشكاله وأنواعه ما له ظل وما ليس له ظل وجعلوه أصل الشرك (٢٩٥/١٥)،

– وأن لباس الشرطة محرم أيضاً لأنه من التشبه (ومن تشبه بقوم فهو منهم)!(٣٦٣/١٥)، فهو مشابه للباس الأفرنج المشركين (٣٦٥/١٥)، وكذلك القبعة (٣٦٧/١٥)، والبنطلون (٣٦٧/١٥)، ومن جمع بين هذه الألبسة فلا فرق بينه وبين رجال الأفرنج (٣٦٧/١٥)، وأن هذه الألبسة دسيسة ممن يريدون كيد الإسلام (٣٦٦/١٥)، وإقرارها من إقرار شعائر الكفر والشرك (٣٦٦/١٥)، وكذا الضرب بالرجل على الأرض والتحية العسكرية (٣٦٣/١٥)، وأن هذا الضرب بالأرجل تشبه ضرب الحمير والبغال بأرجلها إذا أحست بشيء يدب على أرجلها ! ففيها مشابهة من الجنسين! (٣٧٩/١٥)،

– أما التصفيق الصادر من الرجال فهو من أبشع المنكرات! (٣٩٦/١٥)، وأنه من أعمال قوم لوط التي بها هلكوا، ومن التشبه بأعداء الله، (ومن تشبه بقوم فهو منهم) (٣٩٧/١٥)، وأنه من خصائص النساء

---

[65] يقصد أن الخشبات الثلاث واحدة عند الكفار وعند المسلمين مما يؤكد التشبه بالكفار! وقد حاولت أن أتصور شكلاً آخر للمرمى يصلح أن نتفرد به عن الكفار ولم أجد!

[66] هذا من المبالغة في اعتساف النصوص الشرعية للإستدلال بها على التحريم، وهذه سمة غالبة على استدلالات كثير من العلماء سامحهم الله، فالأصل في الأشياء الإباحة وليس التحريم، ولأن تخطيء في التحليل خير من أن تخطيء في التحريم، لأن الأصل هو اليسر والإباحة والتبشير لا التنفير وغير ذلك من يسر الإسلام.

(وقد لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء)!(١٥/٣٩٩)، وهو من جملة الأمور التي تدل على التخنث! (١٥/٤٠٤)، وهو من الكبائر (١٥/٤٠٤)!

أقول: هذه نماذج من فتاوى العلماء المعاصرين وتحفظاتهم وغلوهم في تحريم المباحات بل الضرورات فإذا كان القرار السياسي والتربوي قد أهملا هذه التحفظات لمصلحة العباد والبلاد فلماذا لا يتم إهمال (تكفير المسلمين) الذي لا زال في كل صفحة من صفحات مقررات التوحيد؟! أم أن مخالفته العلماء في تحريم الكرة أو تعليم البنات يعد تخلفاً أما طاعتهم في (تكفير المسلمين) فيعد توحيداً خالصاً؟! (ما لكم كيف تحكمون)؟

- تكفير الوهابيين لبعضهم:

من نتائج تشدد الشيخ في التكفير أن أتباعه لم يلبثوا من بعده إلا سنوات قليلة حتى كفر بعضهم بعضاً، وسبى بعضهم نساء بعض -الدرر السنية (٨/٣٢٩)، (٩/٣٥،٣٣،٢٣،٢٢)-، ولهذا أمثلة مشهورة نكتفي بمثالين:

المثال الأول:

أصدر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن فتوى يتبرأ فيها من الأمير عبد الله بن فيصل لاستعانته بالدولة العثمانية (الكافرة)! فلما تغلب على الرياض بايعه الشيخ عبد اللطيف ورأى أن قد أسلم مجدداً (والإسلام يجب ما قبله)! (الدرر٩/٢٢) ومرة قال إن تكفيره لم يثبت عنده! (الدرر ٩/٣٣)[٦٧]؛ وكان قبل ذلك كان قد كفر سعود بن فيصل وجيشه لاستعانته بالكفار أيضاً (٨/٣٩٢)، ثم اضطر للحكم بإسلامه وبيعته لما تغلب! وهكذا مهازل، فمرة يجب جهاد هذا وتكفيره ثم تجب بيعته والجهاد معه ضد الآخر الذي كنا نفتي بإسلامه والجهاد معه! والأمير الآخر لا يعدم فقهاء يكفرون أيضاً! ثم ليس هناك إلا فتوى بالكفر أو بالإيمان فقط؛ لأن الناس تعودوا على هذه اللغة، و لم يسمعوا بقتال أهل البغي والظلم والاعتداء، فمن قاتلناه فهو مرتد كافر مشرك ككفر فرعون وإبليس! ومن قاتلنا معه فهو مؤمن كإيمان الأنبياء والصديقين وهو سلطان الله في الأرض!.

[٦٧] والشيخ عبد اللطيف رحمه الله أقدر فيه محاولاته درء الفتنة والمحافظة على النفوس والأعراض والأموال لكنه رحمه الله يبرر كل موقف يتخذه بالشرع، فيجب قتال سعود بن فيصل بالشرع ! ويجب نصرته بالشرع! ويجب جهاد أخيه عبد الله بن فيصل بالشرع! ويجب نصرته بالشرع! ويجب حرب المفسدين بالشرع! ويجب طاعة المفسدين بالشرع لأنهم متغلبون! وهكذا ...، (راجع الدرر السنية ٣٤/٩ وما بعدها)، وهذا يدل على تذبذب في النظرية السياسية، وملامحها الشرعية، وكنت أتمنى لو أن الشيخ لم يحمل الإسلام كل هذه المواقف المتناقضة، وللأسف أن المنظومة السلفية بشكل عام من زمن قديم تعاني من هذا التناقض والتذبذب حتى أنه ليخيل للقاريء أن السلفي يريد أن (يطوّع الإسلام) لما يريد! فما يتفق مع هواه فهو المطلوب شرعاً بل هو التوحيد الخالص وما يكرهه أو لا يعقله فهو المذموم شرعاً! بل هو كفر وردة!!

- المثال الثاني:

تبادل الاتهام بالكفر بين العلماء المؤيدين للملك عبد العزيز رحمه الله وبين جماعة فيصل الـــدويش، ولا ريب عندي في خطأ الدويش وأصحابه لكن خطأهم ليس كفراً مخرجاً من ملة الإسلام حشا وكلا، بل هم مسلمون خارجون على ولي الأمر وهذا يسمى عند الفقهاء بغياً، أما العلماء المؤيدين للملك عبـــد العزيز رحمه الله فقد أصدروا فتوى بـــ(تكفير الدويش والعجمان وإثبات ردهم)! جاءت الفتوى مـــن عدد من العلماء، منهم محمد بن عبد اللطيف ومحمد بن إبراهيم وسليمان بن سحمان وصالح بن عبـــد العزيز وكافة علماء العارض(الدرر٩/٢٠٩)، وقد أكدوا أنه (لاشك في كفرهم وردهم ! ...وأن من أعظم الأدلة على ردهم دعواهم أنهم لم يدخلوا تحت إمرة ابن سعود إلا مكرهين! وأنهـــم مـــن رعايـــا الأتراك).

قلت : كان الملك عبد العزيز رحمه الله يرضى منهم بغير تكفير المسلمين، كان بإمكان هؤلاء العلمـــاء الحكم على الدويش وأصحابه بالبغي وكفى، فالبغاة يجب قتالهم حتى يفيئوا إلى الحـــق، ويرجعـــوا إلى الجماعة، ونحن اليوم بالإجماع لا نقول بردة هؤلاء وإنما نقول بخطئهم وبغيهم على الحاكم، كل المؤلفات اليوم التي تتحدث عن ثورة الدويش وجهيمان وغيرهم إنما تتحدث عن خروج على ولي الأمر، وهـــذا يسمى عند الفقهاء بغياً بالإجماع، ولا يسمى كفراً ولا ردة.

دلائل الاعتدال:

- يرى الشيخ عبد الله ابن الشيخ أن الذي عليه المحققون من أهل العلم هو: عدم تكفير أهـــل البـــدع كالخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة (٢٤٤/١٠) لأن التكفير لا يكون إلا بإنكار ما علـــم مـــن الدين بالضرورة أو ارتكاب شيء مجمع على كفر من ارتكبه.

خامساً: مع خصوم الشيخ ومعارضيه:

ومثلما حصل الظلم والتكفير من الشيخ وأتباعه لمخالفيهم فقد ظلمهم المخالفون إلا القليـــل، ورمـــوا الشيخ بتهم كبيرة مثل إدعاء النبوة وتنقص النبي صلى الله عليه وآله.

وينقسم معارضوا الشيخ والدعوة الوهابية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

بالغوا في الذم فكفروا الوهابية وكفروا الشيخ والوهابية، وهذا القسم لا يخفى خطؤه على منصف، فالقوم مسلمون متدينون لكن التقليد والخصومات المذهبية والسياسية دفعتهم للتكفير، وليس من وقع في التكفير متأولاً يكفر، فالذين كفروا الوهابية أو الشيخ محمد وقعوا فيما حذروا منه من حيث لا يشعرون، لأنهم إن اعتذروا عمن يدعو صاحب القبر أو يلجأ إليه أو المتبركين بالأشجار والأحجار بأن هؤلاء لهم تأويل وفيهم جهل ..فكذلك الحال في الوهابية الذين لا يسلمون من الجهل والتأويل.

أما اتهام الوهابية بأنهم (صنيعة بريطانية) بناء على مذكرات رجل بريطاني اشتهرت كثيراً عبر منتديات الأنترنت، التي زعم فيها ذلك البريطاني أنه التقى الشيخ في البصرة وأنه وجهه إلى نجد نكاية بالدولة العثمانية..الخ، فهذا من البهتان والباطل المكشوف، لأسباب أهمها:

الأول: أن الشيخ وأئمة آل سعود (محمد وابنه عبد العزيز) لبثوا يحاربون الرياض ودخنة ومنفوحة وتلك الأحياء القريبة من الدرعية ما يزيد على عشرين سنة، ولو كان عندهم دعم بريطاني لما لبثوا في حرب تلك المدن والأحياء القريبة إلا أياماً أو شهوراً على أبعد تقدير.

الثاني: مذكرات ذلك البريطاني المسمى (همفر) لا تصح وقد وضعها أحد المراجع الشيعية الإمامية نكاية في الوهابية وعندي اسم ذلك الشيخ الإمامي الذي وضع تلك المذكرة على لسان همفر وقد ذكر لي اسمه أحد الشيعة المعتدلين المشهورين ، وقد ذكر ما يدل على وضع تلك المذكرة وكذبها، وأنا أستغرب كيف يستجيز مرجعية من علماء الإمامية أن يضع تلك الأكذوبة التي ملأت الآفاق، ولولا أن الأخ الشيعي الذي أخبرني بذلك قد أخذ مني وعداً بكتم الاسمين لذكرتهما.

الثالث: أن لغة الشيخ وكتبه ورسائله تبين –لغير المتعصب- أن الرجل صادق فيما يرى أنه حق وليس تابعاً لأحد، وقد كان يطلب المباهلة ولن يطلبها مسلم إلا وهو يعتقد ما يقول، وكل كتبه ورسائله وسيرته تدل على أن الرجل صادق في دعوته، ولكن صدقه في الدعوة لا يعني عصمته من الخطأ.

القسم الثاني:

بدعوا الوهابية ولم يقولوا بتكفيرهم لكنهم لم يعترفوا لهم بمحاسن، وهذا تعصب فالقوم أحيوا كثيراً من بلدان الجزيرة من الفتور الديني والبدع والخرافات إلى ظهور شعائر الدين وكانوا السبب في قيام دولة جمعت شتات القبائل في أغلب الجزيرة العربية، ولا ينكر منصف أن وحدة هذه القبائل تحت راية واحدة خير من فرقتها، حتى وإن طغى بعضها على بعض.

القسم الثالث:

اعترفوا بما معهم من حق وما أحدثوه من أثر لكنهم آخذوهم وأخذوا عليهم توسعهم في التكفير والقتال ولم يكفروهم أو يبدعوهم..

وهذا القسم الأخير في الحقيقة ليسوا من خصوم الوهابية ولا من مخالفيهم في إنكار البـــدع والخرافـــات فكان من الواجب على الوهابية أن يعلموا على احتواء هؤلاء والحكم لهم بالإسلام ولكن للأسف كان كثير من الوهابية يكفر هذا الصنف الأخير.